العدد ٨٣٢ — الاثنين ١٣ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

أم مأثرة — المرأة في هذا العصر : لصاحب العزة الدكتور عزام بك ٩٦٣

قطرات ندى ... ... : الأستاذ رابي الراعي ٩٦٥

سفينة المعارف في يد « الربان على أيوب » ... ... : الأستاذ عبد الله حبيب ٩٦٧

على هامش القبعة ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ٩٦٨

الخلود ... ... لشاعر الحب والجمال لامرتين ... ترجمة الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح ٩٧٠

شعر المعتمد بن عباد ... ... : الأستاذ أحمد أحمد بدوي ٩٧٢

الانحراف الجنسي ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو ٩٧٦

قضايا الشباب بين الدم والفلسفة : الأستاذ ابراهيم البطراوي ٩٧٩

« تعقيبات » : لحظات مع الأستاذ العقاد في كتاب « الله » — وسيط ٩٨١

هيئة الأمم وعدالة الديمقراطية الأمريكية ٩٨٣

« الأدب والفن في أسبوع » : حول الكتب الأدبية بوزارة المعارف ٩٨٤

— كشكول الأسبوع — متحف الثقافة العربية — حسن ثائق باشا — أرواح عائمة ٩٨٦

« البريد الأدبي » : مدفن الاسكندر : الأستاذ عزيز خانكي بك ٩٨٧

« القصص » : مادلين ... : الأديب يوسف جبرا ٩٨٩

٣٢ ، ٤٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 me Année No. 682

Lundi — 18 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٨ — ١٣ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٧ — أمم حائرة

المرأة في هذا العصر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قلت في خاتمة مقالي عن الأسرة وما أخشاه عليها : « والمرأة وقاية من هذا الشر ، وطب لهذا الداء ، وشفاء لهذه العلة » .

وفي هذا المقال نظرات إلى المرأة في هذا العصر . وأقدم قبل حديث المرأة في عصرنا هذا ثلاث مقدمات :

الأولى أنه لا يمكن أن تقع خصومة بين الرجال والنساء ، فيكون الرجال فريقاً والنساء فريقاً ، ويتحزب هؤلاء بعضهم لبعض ، ويتحزب أولئك بعضهن لبعض ، وينحاز الذكران كلهم إلى جانب ، والأناث كلهن إلى جانب ؛ إلا أن تكون الخصومة ضرباً من المزاح وأسلوباً من الفكاهة .

ذلك بأن الرجل أبو المرأة وابنها وأخوها ، وأن المرأة أم الرجل وبنته وأخته . ومحال أن تثور عصبية بين هذه الأواصر ، أو يقطع تحزب هذه الوشائج ، أو يفرق خلاف ما جمعه الله ، أو يفصل نزاع ما وصله الخالق .

فالخصومة في كل أمور المرأة واقعة بين رجال ورجال ، ونساء ونساء ، يقال الرأي فيقصره نساء ورجال ، ويحذله نساء ورجال ، وتُدعى الدعوة فيستجيب لها رجال ونساء ، ويردها كذلك رجال ونساء .

فالرجال قبل النساء طلبوا بعض ما يُطلب للمرأة في هذا الزمان ، والنساء قبل الرجال عارضوا بعض ما يُطلب للمرأة في هذا العصر .

وأحسب الرجال المتحررين لمطالب المرأة أكثر من النساء المتحررات لها ، كما أحسب النساء النافرات من مطالب المرأة أكثر من الرجال النافرين منها .

ولو تعرفنا آراء النساء وحدهن في كل ما يختلف فيه الرأي من شئون المرأة في عصرنا هذا لكانت الكثرة الكاثرة ، والغلبة الغالبة ، مخالفة لما ينادى به من حقوق المرأة أو مطالبها ودعاويها .

ومن كان في ريبة من هذا فليجربه ، ومن أكبر هذه الدعوى فليستفت النساء فيها ... هذه المقدمة الأولى .

والمقدمة الثانية ، وهي لا جرم ، متصلة بالأولى :

إن المخالفين فيما يُدعى للمرأة في زماننا ، ويُطلب باسمها في أيامنا ، لا يخالفون استخفافاً بشأن المرأة ، وازدراء لها ، واحتقاراً لمكانتها ، وإنكاراً لفضلها ، وغفلة عن أياديها . بل المخالفون من أولي العلم والفكر والرأي يخالفون في بعض هذه المطالب إعظاماً لشأن المرأة ، وإجلالا لها ، وإكباراً لمكانتها ، واعترافاً بفضلها ، ومعرفة بأياديها . يرون في هذه الدعاوى تمطيا ظاهراً ، وتحقيراً باطناً ، ورحمة في القول ، وقسوة في الفعل ، وتحريراً في الرسم ،

وتسخيراً في الحقيقة ، ونعمة على المرأة بادي الرأي ، ونقمة عليها حين التأمل . ويخافون أن تُمتَهن كرامتها ، وأن تُبتذل صيانتها ، ويشفقون أن تذل عزتها ، وتذال سيادتها ، ويحذرون أن تنتهك حرمتها ، وتستباح قداستها . ويخافون أن تستبدل بكرامة الأمومة ، وعزة الزوجية ، ذلّ الخدمة ، وأن تُعطّى بحرمة البيت ابتذال السوق ، وأن تترك سيادة الأسرة إلى عبودية المصنع ، وأن تُهمل جمال الخلقة ونضرة الطبيعة إلى زيف الأصباغ والألوان ، وتدع زينة الثياب إلى سخرية الأشكال التي تراها .

والمقدمة الثالثة : أن للمرأة حقوقاً لا تنكر ، وعلى الجماعة للمرأة واجبات لا يرقى إليها خلاف . ونحن — المسلمين — سبقنا إلى تكريم المرأة ، والإشادة بحقها وفضلها ، وحسبنا من آيات كثيرة هذه الآية الجامعة « ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وحسبنا من أحاديث كثيرة هذا الحديث « سووا بين أولادكم في العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء » .

وقد اعترفنا — قبل غيرنا — بحق المرأة في الميراث والملك ، والتصرف فيما تملك بكل الوجوه ، وتوليها كل أنواع العقود — أمور لم تنلها المرأة الأوربية في بعض الدول حتى يومنا هذا — ودعونا المرأة إلى التعلم وفرضناه على النساء والرجال سواء ، وزخر تاريخنا بالمحدّثات والفقيهات والأديبات والشاعرات .

بل بلغنا في تدليل المرأة أن قال فقهاؤنا : إن المرأة لا تُلزم بخدمة دارها إن كان الرجل قادراً على أجرة خادم ، بل لا يجب عليها إرضاع ولدها إن كان في مكنة الزوج أن يأتي لولده بمرضع.

هذا موضوع يتسع فيه مجال القول ، ولكنه ليس من قصدنا في هذا المقال .

ولا ننكر أن هذه الشريعة السامية ، وهذه السنة الكريمة ، عفى عليها الجهل في أوطان وأزمان ، كما عفى على حقوق كثيرة للجماعات ، وأن المرأة ظُلمت وما تزال مظلومة في بعض البلدان أو بعض الطوائف ، وأن علينا أن نأخذ بيدها وندفع عنها ونرد إليها كرامتها ومكانتها ، وتصرف بسلطانها في الأسرة ، وبيدها على الأمة .

* * *

خلصنا من هذه المقدمات إلى أن الخصومة في قضايا المرأة ليست خصومة بين الرجال والنساء ، وأن المخالفين في هذه القضايا لا يضنون من قدر المرأة ، بل يعظمونها ويحرصون على كرامتها وسعادتها ، وإن أحداً لا ينكر أن للمرأة حقوقاً على الجماعة يجب أن تؤدّى إليها ، وفضلاً على الأمة يجب أن يُعترف به .

بعد هذه المقدمات يضيق مجال الخلاف ، ويُحد موضع النزاع ، ويتبين الطريق . فعلام الخلاف إذاً بين المختلفين ؟ وفيم الخصومة بين المختصمين ؟ الخلاف كله أو جله في هذه القضية :

يقول قائلون وقائلات : « إن مكان المرأة دارها ، وعملها أمرتها ، ومعقلها بيتها ، وغنامها القيام على العش وإسعاد نفسها وزوجها وأولادها فيه ، لا تتجاوز هذه الملكة أو تهملها إلا معتدية ظالمة ، ولا تُخرج منها أو تُقهر فيها إلا معتدًى عليها مظلومة » .

وتقول جماعة أخرى : « بل للمرأة السوق ، والمصنع ، والمنصب ، والمشرك السياسة ، والملهى والملعى والمرقص وما وراء هذه — ولها أن تزاحم الرجل بالمناكب في كل مزدحم ، وأن تنافسه في كل معترك » .

فتقول الجماعة الأولى : فمَن للبيت إذاً ؟ من للأسرة ؟ من يربي الأولاد وينشّئ النشء ، ويقوم على هذه المدرسة أو المعبد أو الجنة التي ذكرنا آنفاً ؟ إلى من يسكن الزوج المرهق حين يفر إلى داره من ضوضاء الأسواق ومعترك العيش ؟ وبمن يعتصم النائي حين يأوي إلى بيته ؟ وأية يد رحيمة — غير يد المرأة — تُطعم وتُسقي ، وتُفرش وتُنيم ؟ وأي قلب غير قلبها يسع الرأفة والرحمة والحب والود ، ويُشيع النظام والجمال في الدار؟ من غيرها يطب للأدواء ، ويضع في مواضعه الدواء ؟ !

إنما أخرج المرأة الأوربية من معقلها ، وأنزلها عن عرشها هذه الوحشية المدمرة التي قتّلت الرجال فحرمت المرأة عائلها ، فخرجت تسعى لنفسها ، وتكدح لقوتها — ولو خيّرت ما اختارت هذا الشقاء ! وما على وجه الأرض امرأة تؤثر السوق والمصنع على سكينة البيت ونعيم الأسرة ! إن هذه ضرورات أدّى إليها قساوة الإنسان وشقاوته ، والضرورة تُقدَّر بقدرها ، ويبقى السعي لدفعها ، وألاّ تقرها وتخضع لسلطانها ، ونجعلها قانوناً نسير عليه

المعيشة ، فإنما هي شذوذ عارض ، وخلل طارئ ، في نظام الأسرة وقانون الأمة .

ويقول فريق : حررنا المرأة من أغلال العصور الأولى ، وفككناها من إسار العادات القديمة ، وأخرجناها من الظلمات إلى النور ، وأطلقناها تمرح كما تشاء ، وتخالط الرجال في كل مجتمع ، وتنافسهم في كل عمل .

فيقول فريق آخر : نحن ننصركم في التحرير وفك الإسار ، والإخراج من الظلمات ، ولكنا نرى في كثير مما تفخرون به تسخيراً لا تحريراً ، وأسراً لا فكاكاً ، ومهانة لا كرامة ، وشقاء لا سعادة !

إنا ننظر إلى مدنيتكم هذه فنرى فيها سُتاً ورقصاً ، وملاهب وملاهي ، وأسواقاً للذات رائجة ، ومجامع للفرح صاخبة ، وفنادق للترف آهلة ، ونرى تجاراً وسماسرة ، وشياطين وسحرة . ثم لا نجد في متجركم وفتنكم وملاهيكم وملاعبكم وأسواقكم ومجامعكم وفنادقكم إلا سلعة واحدة تتداولونها ، وبضاعة مفردة تديرونها ، ومخلوقاً تعبثون به وتلهون ، وتجمعون به المال في أساليب شتى وتتجرون ، هو المرأة البائسة الشقية ! لقد أدرتم عليها المسارح والمراقص والحانات ، وكل دار للهو ، وكل مباءة للاثم ، وعرضتموها على النظارة رقيقة في صورة حرة ، ومُكرهة كأنها مختارة ، وباكية بوجه ضاحك ، وشقية في ثياب سعيدة ، ومبتذلة بدعوى التكريم ، ومسخّرة باسم التحرير — جعلتموها وسيلة إلى كل كسب ، وشركاً لكل صيد ، وجلبتم بها المشترين إلى متاجركم ، ونشرتم صورها في آلاف الأشكال للترويج لبضائعكم ، وجذب القراء إلى صحفكم — وأخذتموها إلى سواحل البحار ، وإلى مسابح الملاهي ، فعرّيتموها ولهوتم بها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، وكذبتم على أنفسكم وعلى الحقائق ، فقلتم : حررناها وأسعدناها ، وليس للمرأة في هذا كله تحرير ، ولا لها من السعادة نصيب . إنها مسخّرة مسيّرة بأهواء الرجال ، وأشراك عبّاد المال . وليس لها في الحق نصيب من هذه المتع ، ولا اختيار في هذه الأسواق . وهان على العابثين كرامة المرأة ، وخفّت على اللاهين كرامة الأمة ، واستوى عندهم صلاحها وفسادها ، وصحتها ومرضها ، وعزها وهونها .

قطرات ندى . .

للأستاذ راجي الراعي

* الكفر ماء الروح إذا جمد .
* سخرية الموت أشد بروزاً فيه من جثمه .
* المنطق الذي لا هم له إلا أن يوثق التتابع بالأسباب حبل قديم تُخين — ينظر إليه الخيال مذعوراً إذ يحسبه حبلا في عنقه .
* كلما تمثلت المد والجزر تمثلت العلى والنشر والوصال والهجر
* المنتحر رجل يستبطئ الموت فيحشو فمه تراباً !
* كأني بالعبارة وهي تذهب في الطول عبارة تائهة تفتش عن محورها أو هدفها الذي انحرفت عنه .
* أترانا نميل إلى تجسيد ما نتخيل ؛ لأن لنا أجناداً .. أي هذا اليد التي تشير إلى الميثولوجيا والأساطير والتهاويل والهالات والتماثيل !
* كل صخرة من صخور الجبل فلذة من كبده ، وكل كثيب من كثبان الرمال مثير من مثاير الصحراء .
* يطلبون العناق والإخاء ، وهذه النجوم المتفرقة لا تعرف غير الجفاء والعداء ، ويقولون إن الطبيعة هي الألف والياء في أبجدية الأحياء .
* الدمعات التي تتلقاها البقربات هي بطاقات الآلهة لحضور الوليمة الخالدة .
* القاعة التي تقام فيها وليمة البيارة ما تزال مفتوحة الأبواب منذ البقرية الأولى .
* الوهم ضباب الرأس .

ثم استدرجتم المرأة إلى الطرق والأسواق كاسية كارية ، وجعلتموها أُمنيّة لكل سائر ، ومتعة لكل ناظر ، وحديثاً لكل عابث ، وعوّدتم أسرها على الدعاء ، فلقيها الأوباش بالأقوال والإشارات ، حتى لم تبق للسيدة في الطريق حرمة ، ولا لربة البيت في السوق من الأقدار عاصم !

(الكلام صـ٥)

عبد الوهاب عزام

* أتكون الأجيال فصول رواية بدأها الزمان ولم يهتد بعد إلى الخاتمة ؟

* أتكون الحقيقة إطار هذا الرسم الذي تدعوه خيالا ؟

* إن المجهول يستهويكم حتى يصبح معلوماً ، ذلك أنكم لا تحبون أن تمشوا وراء رأي تزون عصاه وتنشدون في نفسكم وشعوركم الكمال فكلما ظهر لكم وجه ناقد تحولتم عنه وقد عرفتموه إلى غيره ، واعملوا في هذا السير المستديم وراء القوى الخفية المتعاقبة سر بقائكم .

* الزلزلة أرض انتفض ضميرها وارتعش وجدانها .

* لا يستطيع العظيم أن يقبر أمله في الملاء إذا لم يرفه إليه جناح فنان .

* إن الفنانين الخالدين الخلدين هم الذين تقام على قواعدهم تماثيل التاريخ .

* الأغبياء والكبرياء يلتقيان في النزلة ، ويفترقان في الثقة بالنفس .

* هذا الوادي يذهب في الأعماق كأنه حامل جواهر يريد أن يودعها قلب الأرض أو رجل يرى غير رأي الجبل فيقول له : أنت تحسب العظمة في الشموخ والقسوة والطموح وأنا أراها في الوداعة والتواضع واللين ، وأنا يرى رأيه ويخالفه في الكبر فيقول له : كلانا طالب عظمة : أنت تطلبها في آفاقك وأنا أطلبها في أعماقي .

* إذا استطعت أن تجمع بين القوة واللين كان لك جناح العقاب وبيتك في القمة .

* إذا كان الذكاء لساناً من نار فالغباء بلادة .

* للعبقري موجاته الأربع : موجة الغيب ، وموجة البحر وموجة الأثير ، وموجة الصحراء .

* أنت أول الخونة إذا رضيت أن تتخلى عن قيراط واحد من جنونك الفني الأدبي السامي لإرضاء الجماهير .

* النجوم شظايا ما انفجر في جوانب القبة الزرقاء يوم غضب الله فطرد آدم من الجنة .

* العبقري غني بنفسه تأتيه عبقريته المستقلة بكل ما يطلب فلا يمد يده إلى العواطف والأحداث والأهواء مستجدياً .

* الطمأنينة الطمأنينة حلمة العدالة إذا طمست بمدية خلافها القانون ودمها مداد النص وريقها ريق الحق والوجدان .

* سألت عن السياسة الحكيمة المثمرة التي لا تجري الأمر على إطلاقه فقيل لي . هي في البحر ، في المد والجزر .

* كلما أطبقت الجفنين والشفتين استمتعت رائحة التراب ، وسمعت في شيئاً كأنه قرقعة المعول في يد الحفار .

* من أتعس الناس رجل ذو ذاكرة قوية يصرف الساعات الطوال من نهاره وليله في المطالعة ولا يرى فيه قوة للتعبير عما يشعر به فتظل تلك الخلائق في أرحامه لا تقوى على الخروج وتتراكم مع الزمن حتى يصاب بالاستسقاء الروحي الشعري . وفي مساء يوم من أيامه السود ينفجر رازحاً تحت أثقاله ويسلم الروح منتحراً أو مجنوناً ... إن النفس إذا فصمت ساحتها بما فيها ولم تجد لها منفذاً أصيبت بالاختناق فلا تصرفوا أوقاتكم في القراءة إذا كنتم لا تستطيعون أن تكتبوا ... القلم فرجة الروح فاكتبوا كلما قرأتم لترتفع أشجاركم بدورها بين تلك الأشجار التي تغنيأونها في غابات الفكر والإحساس ... افتحوا كوى أرواحكم بين الحين والحين لئلا يفسد هواؤها .

* كلما تمثلت نفسي محشوراً في ذلك الوادي الرهيب ، وادي بوشاقاط تبسطت ما استطعت في دنياي وأحلامي منتهزاً فرصة البقاء قبل الجلاء إلى ذلك الموقف المخيف بين الملايين التي لا تعد من الموتى الأحياء ، يتلى عليهم الماضي ويحاكمون ..

* البحار ابن البحر رجل كثيب فمن أين أتاه البحر الفسيح الرحب بالكآبة . ونحن نعرف الرحب الصدر صابراً متفائلا غير كئيب ؟

* أنا أومن بالوراثة ولكن أين خليفة المتنبي في صحراء العرب .. وأين نظرات الفراعنة في عيون المصريين اليوم . وأين أتينا القرن العشرين من أثينا أفلاطون وسقراط إلى آخر تلك القافلة العلوية التي جاورت الأولمب وسيارت بفلسفتها وخيالها على الدنيا .. وأين هذا الإيطالي الناعم الفنان ، صاحب الأوتار والألحان ، في البندقية وميلان ، من أولئك الجبابرة الرومان الذين ملكوا بشجاعتهم الأرض وخضع لهم الزمان ؟ ألا ترى معي أن هناك سلاسل تقطعت ودماً تحول عن مجراه ؟

* القلم الذي يأتيك بالموجة الطويلة ليس قلماً عربياً .. إن مفياع لغة العرب لا يعرف غير الموجة القصيرة .

راجي الراعي

سفينة المعارف

في يد « الربان على أيوب »

للأستاذ عبد الله حبيب

كيف قاد الربان سفينة المعارف ؟ وكيف اجتاز بها مصاعب الأمواج الهوج ، في مصادم البحر ، بين الرياح الزمن ، والمهاوي السحيقة ؟ ؟

الربان مقضي عليه أن يجهد جهده ، فيحسب حساب المد والهواء ، بين أفاعيل الماء والسماء ، ليهتدي في تعاريج تلك المهاوي بين الضباب والأمواج ، إلى ما يبغي من سبيل مأمون العواقب ، محقق الثمرات .

وقد جهد وزير المعارف جهده ، فحسب حساب المد والهواء ، فكر ، ودبر ، وأنعم النظر فيما كان ، وما يجب أن يكون . واستطاع — في فترة وجيزة — أن يقود سفينة العلم والأدب بيد ربان حكيم حصيف . وهو الوزير الذي لم يتدرج — قبل أن يلي الوزارة — في مراحل الوظائف الحكومية ، ولم يعرف من « صناعة الحكم » أو أساليب الحكام ، ما عرف غيره من الوزراء الذين لابسوا شئون الوظائف في مراحلها العديدة ... وأثبت أن الحكم ليس « صناعة » تستوجب المران والتمرس ، ولكنها تستوجب العقل الراجح والوعي الشامل والأفق الفكري المتراحب الأنحاء .

وقد أقبل على وزارة المعارف مفترضاً أن شئون التعليم وشئون رجال العلم والأدب « قضايا » يجب أن تدرس بعقل المدره المستنير ، ليفصل لكل قضية من تلك القضايا واجباً في عنقه . وراح يقرأ ويقرأ مئات من الأضابير في مئات المسائل ، وما زال حتى وضحت أمامه المعالم ، واستوى الطريق ، فأخذ يقضي في تلك القضايا — واحدة إثر أخرى — بأحكام قاض عادل متزن . وحالف التوفيق تلك الأحكام ، فجاءت موضع الإعجاب والتقدير .

وكانت « قضية الأدباء » أول قضية استهل بها عهد أحكامه العادلة ، يوم نظر إليها نظرة وطنية شاملة فرد إلى طائفة منهم حقوقاً كانت ضائعة ، وجعل يبحث ويبحث عن حقوق بقية الأدباء ليردها إليهم ، ويدفع الظلم عنهم ، بقلب وطني شجاع ، لا يخشى فيما يراه حقاً لوم اللائمين وتعنت المتزمتين ، ويقول في ذلك : إن العلم والأدب لا وطن لهما ، ولا حزبية فيهما ، وإنه أراد بما فعل أن يوحد الجهود في سبيل العلم والأدب ؛ راجياً أن يكون عمله هذا فاتحة خير لتوحيد الجهود في سبيل قضية الوطن .

وقد أعلى بذلك شأن الأدب — في عهد الفاروق — أعلى الله شأنه ، وأكرم الأدباء أكرم الله مثيبه ، ولقي في سبيل إنصافهم ما لقي من عنت ولوم واحتجاج ، فكان جزاؤه ما لهجت به الألسنة من الثناء عليه ، والدعاء له ، ورضاء الأمة عن عمله ، وعرفانها لجميله .

ونفى عن الأدباء — بما فعل — تهمة التعطل والتبطل والميل إلى الكسل وتلمس الرزق من أيسر طريق . فأظهر الناس على أن الأدباء « كفايات » مذخورة للوطن ، يجب أن يعلوبها الوطن ، وأن الأمة التي تطمس حق أدبائها ، وتأخذهم بجريرة الحزبية البغيضة ، لا خير فيها ولا أمل يرجى في صلاحها .

أما بقية القضايا فهي في طريقها إلى النور ، وسوف تظهر أحكامها السديدة الرشيدة لكل ذي عين وبصيرة ، ناطقة بما وهب الله قاضيها من سداد ورشاد وبصر وإيمان .

وأما السفينة بما فيها ومن فيها ، فهي في طريقها إلى شاطىء السلام وبر الاطمئنان ، يقودها ذلكم « الربان » الذي عرف من أفاعيل الماء والهواء ، والرياح الرخاء ، ما لم يعرفه ربان قديم .

ولم يبق أمام هذا الربان القدير سوى بعض صخور وبعض أعشاب تنساب فيها الأفاعي والحيات . ومن يدري ! فلعله « رفاعي » يرود الأفاعي والحيات ، ويعرف كيف يخدرها بتعاويذه وأدعيته ، ثم يستلها من بين تلك الأعشاب ، فيكسر أنيابها ويقي الناس من سمومها ، ويصل بالسفينة إلى شاطىء السلام ، بعد القضاء على الصخور والأعشاب .

وسيعرف الناس — بعد ذلك — أي جهد بذل هذا الوزير العادل ، وأي مجد بنى لأمته في محيط العلم والأدب .

أما أدباء مصر ، فقد أصبح في أعناقهم لهذا الوزير المنصف العادل دين أي دين ، وكذلك علقت بنفوسهم أكبر الآمال في عدله وبره ورعايته وتعميم فضله وتقديره لأهل العلم والأدب .

عبد الله حبيب

صور من الحياة :

على هامش القبعة

للأستاذ كامل محمود حبيب

لقد صادفت مقالات « القبعة » هوى فى نفوس قراء « الرسالة » القراء ممن يحسون فى أنفسهم غيرة وحماسة ، فأهدى إلىّ الأستاذ عدنان أسعد كتابه « خمر وجمر » وقدم هديته الأنيقة المشكورة بقوله « أهدى إليك كتابي المتواضع لقاء مقالك الماتع القبعة » ولست فى تضاعيف كتابه ثورة على هذه الفئة من الناس الذين لبسوا القبعة حيناً من الزمان ليتبذوا المعانى السامية للوطن والدين واللغة ، حيث يقول : « ... وهكذا تفزع الشرق إذ انسلخ من شرقيته وسبأ من تقاليده ، فلبس القبعة وتبرنط ووضع البيبة وتهبّط ، ولوى لسانه اليمرني برطانة الغرب ولغة الهمج ثم تبجح فقال : هى الدنية يا قوم فقلدون ! »

***

وكتب إلى الأستاذ عبد الحميد يونس المدرس بكلية الآداب يقول « ... لم يكن المنظر الذى أثار اهتمامى هو منظر النيل الساحر تقف على ضفتيه عمد النخيل الباسقات والأشجار الخضر المتشابكة وهو يتلألأ سانياً رقراقاً يصافح أشعة الشمس الذهبية عند الأصيل كأنه يودعها وداع الحبيب الوامق إن حمّ الفراق . ولا هو الصحراء الساجية بالنيل المتثائبة بالنهار كأنها أمواج البحر المتلاطمة مسحت عليها يد ساحر رهيب فجمدت فى مكانها لا ترم . ولا هو لعاشقين تأجج الهوى فى قلبيهما ضراماً من شباب وشواظاً من عاطفة فذابت أنفاسهما مع لظى النجوى وزفرات الغرام . ولا هو للزهر النضير المتألق وهو يزهو فى رونق ويختال فى بهاء وينفح أريجه فى خيلاء وقد تعهدته يد صناع فبدا على نسق يخطف البصر ويأسر اللب . ولكنه منظر يشغل أذهان العامة وتطرب له أفئدة الأطفال ... هو منظر سيارة عطلت فى عرض الطريق فتقدم لها حمار يجرها . والسيارة رمز الجديد وشارته والحمار صورة القديم ورسمه .

تحاربا وتخاصما وتدابرا ، وسخر الأول من الثانى فى عزة وكبرياء ، وأغضى الثانى عن الأول فصمت وطأطأ رأسه فى استسلام ، ثم اندفع على سننه لا يعبأ به ولا يلقى السمع إلى حديثه وحاول كل منهما أن يقتل صاحبه ويمحوه ويبيده ، حتى إذا حزب الأمر بأحدهما ونزلت به النازلة وضاقت به سبل الأرض أسرع الثانى إليه يمسح عنه ما أصابه ويهوّن عليه ما آده ويعينه على ما أعضل عليه ... ما أشدهما خصمين وما أكرههما عدوين !

هذه — يا صاحبى — هى الحرب الصحيحة بين الجديد والقديم ، ولكنها فى مصر — وطننا العزيز — معركة عنيفة فى ضعف ، شديدة فى فتور ، لا تسمو عن الهاترات الوضيعة والألفاظ النابية والمفارقات العجيبة ، يريد الواحد أن يحط من قدر أخيه على جهل منه وصلف .

وأنت هنا لا تكاد تفرّق بين المجدد والمحافظ إلا من أسماء خاوية تسمى بها البعض دون البعض الآخر ، فليت شعرى هل آن الأوان لأن تفقه السيارة المجددة أنها ستصاب — فى وقت ما — بالعطب فيتقدم إليها الحمار فى رزانة وهدوء ليقيلها من عثرتها وليكون لها عوناً وساعداً . أو أن يفهم حمارنا المحافظ أن من سماحة الطبع وسمو الخلق أن يهتز نحو غريمه — فى ساعة الخطر — ليكون صاحب الشدة ورفيق العسرة ؟

والمجدد هنا رجل لبس القبعة حيناً أو بعض حين وقرأ الكتب الغربية سنة أو بعض سنة وانكب على الثقافة الأفرنجية ردحاً من الزمان ، ثم جاء يلوى لسانه برطانة وبرية ويملأ شدقيه بكلمات أعجمية على جهل منه بالغرب ، لا ريب فهو قد عاش زماناً فى بلاد الغرب ولكنه لم يتعمر فى البيئة ولم يتغلغل إلى عاداتهم ولم يكشف عن أخلاقهم ، فبدا فج العقل والعقيدة والفكر . وما به إلا أن يهدم تراث الشرق وهو تراث أقامته الأجيال العديدة على دعامات قوية ثابتة .

وداء هذه الأمة أنها تبذر — دائماً — فى القمة روح الغرور والكبر حين تفسح لها المكان المرموق ، وحين تضعها فى صدر الجماعة ، وحين تهيىء لها مجلساً عالياً بين الفخامة والوجاهة . والقمة — لهذا — تتكلم وتخطب وتملأ فضلاً قلوب الشباب من أبنائنا خطلاً وخرقاً ، وتزين لهم — فى أسلوب سياسى رقيق —

أن يعقوا الدين والوطن واللغة ، وتدفعهم — في مكر ولين — إلى الهاوية .

وأكبر همّ صاحب القبعة أن يعبث بصورة الوطن الحبيبة لتبدو شوهاء مبتورة تعافها النفس ويزدريها العقل ، وأن ينقب عن النقائص يلصقها بأهله ثم يتحدث بها في طلاقة وإسهاب ، وأن يأخذ نفسه بالبحث عن نواحي الضعف في بني وطنه فيذيعها في غير اكتراث ولا مبالاة . ثم ينكر عليهما النبوغ والعبقرية والسمو ، ويسمنا بالتقصير والخمول والتخاذل ، وينسى أنه واحد من هذه الأمة لا يستطيع أن يهرب من عاداتها ولا أن يتفلت من خصالها .

ولشد ما يحلو لصاحب القبعة أن يتبادى في الغي وأن يسترسل في المكابرة ، فيتصنع احتقار المصري ويحاول جهده أن يحط من قدره ، وأن ينال من كرامته ، فهو لا يؤمن به عالماً ولا أديباً ولا سائساً ولا ... ثم يتبجح فيجهر برأيه السقيم في غير تحرج ولا حياء .

وأنا أعرف رجلاً من ذوي القبعات رأى أثراً من آثار الصناعة ، ظنه مصرياً — وفي رأيه أن الصانع المصري رجل متواكل واهي العزيمة مثلج الحس — فهاله ما في هذا الأثر من ضعف وتداع ، فراح يحط على الصنعة والصانع بثلبهما بأقذع الكلم ويسلقهما بألفاظ غلاظ . فلما تبين له أن الصانع أفرنجي تراجع في ندم وتخاذل في ضعف كأنما عزّ عليه أن ينال من الأفرنجي وهو سيده ومثله الأعلى .

وأعرف رجلا آخر من هذه الفئة تراءى إليه أن أجنبياً ذا مكانة أدبية يوشك أن يزور مصر ، فأخذ يترقب مقدمه في شغف ، ثم اندفع يستقبله في حفاوة وأفسح له من قلبه ومن قلمه في وقت معاً ، وملأ صفحات الصحف بما أغدق عليه من إطراء ومدح . ثم حاول أن يمن عليه الأجنبي فيزوره في داره لتسعد الدار بزورة السيد الأجنبي ، ولتظفر المائدة بفضل الأديب الغربي ، فتشاغل هذا عنه وتسلل بالتعلات ، ثم ضاق بإلحاحه فردّه — بادي ذي بدي — في هوادة ، ثم ضاق به مرة أخرى فردّه في عنف . وحزّ في نفس صاحبنا أن يندفع إلى الرجل في غير مبرر ، وأن يتشبث في غير أناة ، ثم لا يلقى — بعد هذا كله — إلا الاحتقار والمهانة ، فأطلق فيه لسانه وقلمه يثلب علمه وأدبه وأخلاقه ، ويزدري رجولته وإنسانيته وفنه ...

هذه هي أخلاق القبعة ، وهذه هي عقيدتها ، وهذا هو إيمانها ، فتى ... متى تتحلل من قيودها ؟ إن القبعة — ولا ريب — هي بقايا عهد زال منذ زمان ، عهد السيطرة الأجنبية البغيضة ، عهد الاستخذاء والضعف ... فتى ... متى تتحلل من قيودها لتسمع عنا عار التعبد والخضوع ؟

***

وجاءني صديق من ذوي القبعات عاتجاً يهدر وهو يتلظى غيظاً وغضباً ، وفي يده مجلة أسبوعية وصحيفة يومية ، ثم قذف بهما أمامي وهو يرغي ويزبد ، ثم قال : « أرأيت ، أرأيت الصحافة في بلادنا وهي تشوه الحقائق ؟ » قلت : « ماذا ؟ ماذا أصابك ؟ » قال : « هذه الصحيفة نشرت مقالا بعنوان : الشعب الإنجليزي ذهبت أخلاقه . وهذه المجلة كتبت مقالاً بعنوان : دهش الترجمان في لندن ! ». قلت : « وماذا يعنيك وأنت رجل مصري الجنس ؟ » قال : « هذا افتراء بيّن على شعب عظيم ! » قلت : « ومالك أنت ولهذا الشعب ؟ » قال : « لقد عشت هناك سنوات فما شعرت بشيء مما يقولون ! » قلت : « عجباً ! إن في الصحيفة أرقاماً تنطق ، وإن في المجلة صوراً تتكلم ! » قال : « فأنت تصدق هذا البهتان الواضح فتنكر على هذا الشعب العظيم خصاله العالية وأخلاقه السامية ، وهو قائد العالم وسيده » قلت : « وأنت تنفض عن الدعايات النكراء ، والشائعات الشوهاء ، بروجها عنا أصحاب الأغراض السقيمة في البلاد الأجنبية لتحط من كرامتنا و ... » قال مقاطعاً : « إنهم لا يقولون إلا حقاً » قلت : « كأني بك قد تعلمت هناك — يا سيدي — كيف تنبذ المعاني السامية للدين والوطن واللغة ! »

وأحس هو بأن كلماتي تخزه وخزاً شديداً ، فانطلق من لدن في ثورة وغضب ، ولكني لم أعجب أن يكون هذا الفتى قد استحال في سنوات إلى قبعة تتفلسف فلسفة واهية منحطة ! !

وقص عليّ صديق حبيب إلى نفسي قصة زواج القبعة ... فليت شعري هل أطلع صاحب القبعة أن يكون زوجاً وأباً ورب أسرة ! !

فاضل محمود حبيب

ترجمة وتحليل :

الخلود

لشاعر العرب والجمال لورستين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٢ —

وما ينفك الفضول مستأثراً بلب الشاعر ، فهو يريد أن يعرف كل شيء عن هذا الضيف الكريم الذي فتح عليه سجنه وحطم له قيده ؛ فما الذي حمله على الهبوط من سمائه إلى الأرض ، ومن دار الخلود إلى دار الفناء ؟ وما هذه القدرة الخارقة التي أمسكته عن الطيران ، ووقفته عن الجولان ، ثم حبسته في هذا الكوكب الأرضي بين أجساد مخلوقة من سلالة من طين ؟ وأنى يتسنى له وهو سجين أن يتصل بالبدن الذي تحللت عناصره ، فأمسى رميم العظام ؟ وما هذه الرى المدهشة للعقول ، والصلات الخفية عن الأبصار التي تربط بينهما هذا الربط المحكم الوثيق ؟

« أي قدرة ألقتك على هذه الأرض الفانية ؟
أي يد غيبتك في سجن من الطين ؟
وبأي عرى مدهشة ، وروابط خافية ،
يمسك بك الجسم كما تمسك به وأنت سجين ؟

ولم يكتف لامرتين بهذه الأسئلة ؛ فهو يرتقب بشوق لموج يوم يُفصل بين الروح والبدن ، يوم لا تنفع الرى والروابط مهما خفيت على الأبصار ؛ وينتظر مفارقة الروح لهذه الأرض وصعوده إلى السماء حيث يجد قصراً مشيداً بدلا من القبر الذي كان يشترك فيه مع البدن .

« متى يوم الفصل بين الروح والبدن ؟
متى تغادر الأرض إلى قصرك المشيد ؟
هل نسيت كل شيء ؟ ألن يبيتك الزمن
من أعماق القبر إلى مجهول جديد ؟.. »

وإذا انفصل الروح عن البدن وتحرر من قيوده وطار من هذه الأرض إلى السماء ، وانتقل من قبره إلى قصره — فكيف تكون حياته المقبلة ؟ أهي مماثلة لحياته الماضية ؟ أفيها متع عاجلة وشهوات زائلة ، ومطامح سرعان ما تُنسى ، ورغائب ما أقل ما تبقى ؟ أم فيها نعيم خالد لا يُصدَّع عنه ولا يُنزف ، ولا ينقطع ولا يفتر ، ولا يُمل ولا يُستكره ، لأنه يتدفق من عين قدسية تنبع من الذات الإلهية ؟

« هل ستحيا غداً حياتك الماضية ؟
أم ستتمتع أخيراً بنعيم السماء
دافقاً من نفس الإله عينك الجارية ،
بعد أن تحررت إلى الأبد من قيود الفناء ؟ »

وهنا يثوب إلى الشاعر وعيه ، ويصحو على نفسه ، فيوقن أنه لم يمت ولم يُقبر ، وأنه لم يُبعث ولم يُنشر ؛ وأن نفسه جالت فأكثرت التجوال ، وتخيلت فأسهبت في الخيال ؛ وأن كل ما تصوره وتمثله لم يعدُ أن يكون آمالاً عذاباً كثيراً ما تراءت أمام عينيه ؛ وإنما شخص له هذه الآمال ذكراء لحبيبته التي انفصلت عنه انفصال الروح عن البدن ، وعرجت إلى ملكوت السماء بعد أن خلفته وراءها جسداً محطماً وأعضاء جامدة ، ومشاعر خامدة ؛ فكيف لا يناجي روحه التي فارقته ، ولم لا يتمنى أن يلحق به ولو بالموت والفناء !

لا . لن يندم لامرتين على جسده إن كان فناؤه قرباناً لروحه ؛ فإن أمله في لقاء المحبوبة يهوّن عليه كل شيء ، وأن هذا الأمل نفسه هو الذي جعله لا يُراع ولا يضطرب حين رأى شحوب الموت على وجه (جوليا) الجذاب كأنه صفرة ألوان الربيع بعد أن تذوى وتحول : كلاهما أمر جرت به سنة الحياة ، وقضت به حكمة الوجود .

من أجل ذلك عاد يناجي روحه — وهو في الحقيقة لا يناجي غير حبيبته — بهذه الكلمة التي لا تفيض إلا من قلب تقي وسريرة طاهرة .

« بلى ... تلك — يانصف حياتي — آمالي العذاب
فيها استطاعت نفسي أن تجول ،
وترى بلا روع على وجهك الجذاب
ألوان الربيع الزاهيات تحول .. »

ويؤكد هذا المعنى النبيل بأن آماله في لقاء (جوليا) ومناقلتها

الحديث ومشاركتها في نعيم السماء لم تبعثه على الصبر والاحتمال فقط ، وعلى الرضا بحكم القضاء فحسب ، وإنما ستبعثه على الشجاعة وقت الشدة ؛ فهو سيهتم ساعة يتأرجح بين الوجود والعدم ، ساعة يحتضر على فراش موته ؛ ثم هو لن يأسف على صباه حين يقصم الدهر عُراه ، وإنما سيبكي من فرط سروره بلقيا حبيبته منية نفسه ، ونصف حياته .

« وبها ستراني أبتسم وأنا أحتضر ،
بعد أن يقصم الدهر عُرى صباي
وأن دموعي من فرط السرور ستطفر
في لقائنا ... فتلألأ بها فيناي ! »

ويستمر لامرتين في نجواه — وما أروعها من نجوى ! — فيتمثل حبيبته ويجثو بين يديها مقلباً لها صفحات الماضي البهيج بذكرياته الحلوة ؛ وما يفتأ يخاطبها على أنها روحه الذي انفصل عنه فيذكر هذا الروح باليوم السعيد الذي ولد فيه الحب بينهما من نظرة عاجلة تلاها حديث لطيف ومجلس عفيف ، ثم جولات جميلة وسكرات نبيلة ، في محراب الطبيعة حين تأخذ زخرفها وتزين تارة على رءوس صخورها الناتئة كأنها رقيب نشوان يرهف أذنيه ليسمع أحاديث الهوى ؛ وتارة حول بحيراتها الحزينة كأنها صديق أسوان يقاسم الحبيبين ما كتبت لهما يد القضاء ؛ وأحياناً على شطآنها المجرد وكثبانها النواعم التي تكتم السر فلا تفشيه وتحفظ العهد فلا تنساه ؛ والحبيبان — في تلك الأوبقات كلها — لا يحسان مرور الزمن ، ولا يكترثان بالظلال التي تهوى من الجبال ، ماحية القرى في أذيالها السود ، فإنهما في نشوة ، وإنهما لطائران من هذا العالم السادي المحدود إلى عالم عرضه السموات والأرض تصفو فيه الأنفس ، وتمتزج الأرواح ، وتأتلف القلوب!

« كثيراً ماتستعيد الذكرى في هذا المقام السعيد
الذي وُلد فيه حبنا الخالد من نظر عجلان ،
تارة على رءوس هذه الصخور الجلاميد ،
وتارة حول البحيرات الحزينة على موحش الشطآن ،
حيث كنت أتحسم معك الظلمات الناشبة ،
طائرين — بنجوة من العالم — على جناح الأمل المنشود
وكانت الظلال — وهي من الجبال هاوية —
تمحو أمامنا القرى في طياتها السود ! »

ولكن الله زين السماء الدنيا بمصابيح جعلها كشعور اللآل ، موشية برقم الليال . إن لها لأنواراً رَخية تنشي الفضاء ، وإن لأنوارها لألحاناً توقعها أنامل قدسية في الخفاء ، وإن في ألحانها لسراً عجزت عن فهمه العقول ؛ فربما كان رجعاً لزفزفة الرياح ، أو صدى لزقزقة الأطيار ، أو ترديداً لخرير الأنهار ، أو تسجيلاً لسحر العشاق .

وقد اكتفى الشاعر بوصف ألحان الليل بالخفاء ، وبدنوها بلا ضوضاء ؛ فانطوى تحت وصفه الوجيز ما تشاء أخيلة الشعراء من سبح في العالم المجهول .

« لكن كواكب الليل بألحانها الخفية
— وهي تدنو بلا صخب ولا ضوضاء —
تنقي الفضاء بأنوارها الرخية ،
ملقيةً على كل شيء نقابها الوضاء ! »

وما كان أسرع لامرتين إلى اقتناص التشبيهات المحكمة !

فلقد رأى صورة الكوكب الذي يضيء في الليل محراب الطبيعة أدنى إلى صورة المصباح الذي ينير بضوئه الخاشع جنبات المعابد بعد أن تنمحي آية النهار : وكما أن هذا المصباح يعوض لألاء الشمس عند الراهب المتبتل ، فيحسب ضوءه الباهت الخاشع نوراً ساطعاً وهاجاً ، لأنه يشعره بمعاني الورع والتقى والزهادة ، فإن الكوكب يعوّض النهار الأضحيان ، عند العاشق الولهان ، فيخلع على ضوئه الرخي معاني شعرية ، وأسراراً علوية ، إذ يوحي إليه سحراً شجياً ، وحديثاً حلواً نديا ...

« كذلك ... حين تشحب رويداً رويداً أشعة السماء
في معابدنا المقدسة التي تضيئها آية النهار ،
يملأ المصباح — وهو رسل خاشع الضياء —
جوانب المحراب بساطع الأنوار . »

ولعل ألحان الكواكب — بلطفها وخفائها — هي التي ذكّرت الشاعر بألحان روحه ، وقلما كان هذا الروح يسكر سكرته الوديعة ، وهو يتأمل مناظر الطبيعة ، ويرجع البصر فيها بين السماء والأرض فينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير ، ثم إذا يرتفع بسكرته عيني الشاعر الحالمتين ، ليطلعه على جمال الوجود ، ويسبّح معه للإله المعبود ، ويبرهن له على عقيدة (الخلود) .

شعر المعتمد بن عباد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وبرغم شهرة شعراء الأندلس بوصف الطبيعة ، وغرام المعتمد بها لم نجد له كثيراً من الشعر فيها ، اللهم إلا حديثاً عرضيا عن البدر الذى كان يساهره ، وهو عانىء بشرب الراح ، كما تحدث عن شمة سهرت معه كذلك وهو يشرب الخمر أيضاً ، وقد رأى فى نورها ولهبها ممثلا لجمال ساقيه ونار غرامه إذ يقول :

ساهرتها والكاس يسعى بها من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها لا شك من وجهه وحرها من حر أنفاسى

ويقف ابن عباد فى وصفه للخمر عند حد ما تراه العين ، فير متجاوز ذلك إلى الحديث عن وصف أثرها فى نفسه كما نرى ذلك فى وقوله :

لو زرتنـــا لرأيت ما لم تعهد
ذوب اللجين خليط ذوب العسجد

ولعل المعتمد قد شغله الجمال الناطق ممثلا فى المرأة عن الجمال الصامت ممثلا فى الطبيعة .

ووصف الجمن عند ما طلب إليه أبوه وصفه ، وكان قوى الخيال عند ما ربط بين منظر الجمن وقد أصبح يحكى السماء بما رسم عليه من نجوم وبين بُعد أن تناله طوال الرماح إذ قال :

بجمن حكى ما صانوه السماء لتقصر عنه طوال الرماح

* * *

وله قصيدتان تهكميتان بلغ فيهما مبلغاً كبيراً من الإتقان والإجادة ، أما أولاهما فتلك التى رد بها على ابن عمار عند ما طمع فى أن يستأثر ببلنسية ، فقال ابن عمار فى ذلك شعراً يشيد فيه بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمار من أسرة رفيعة الذار ، بل كان خامل البيت ، كما يقول مؤرخوه ، فما هو إلا أن قال :

كيف التفلت بالحديمة من يدى رجـــل الحقيقة من بنى عمار

حتى أنشد المعتمد قصيدة يعرض فيها بابن عمار وآبائه ، ويذكر نشأتهم ومنبتهم ، ويسخر من فخره بهم فى أسلوب تهكمى لاذع بدأه بقوله بكمل قصيدة ابن عمار :

الأكثرين مسودا ومملكا ومتوجا فى سالف الأعصار

والثانية بعث بها إلى ابنه الراضى ، عندما أرسل إليه يأمره بالخروج لمحاربة عـدو هاجم « لورقة » فأظهر الراضى تمارضاً وانصرف إلى القراءة ، فكتب إليه قصيدة تهكمية بدأها بقوله :

الملك فى ملهى الدفاتر فتخل عن قود العساكر

* * *

وللمعتمد فخر بنفسه وبأسرته فى ثنايا قصائد غزله ورسائله إلى أبيه ، ولم ينشىء قصيدة للفخر قصداً إلا تلك التى أوحى إليه بها فتحه قرطبة ، وإلا ثانية يفتخر فيها بالجود ، وإلا ثالثة أنشأها فى الأسر وسوف نعرض لها .

* * *

ولم يَرْثِ غير بنيه الذين قتلوا وهم يدافعون عن مدنهم ،

وما يبرح لامرتين خالماً على روحه شخص حبيبته ، ليستدل فى هذا الجو العاطفى على الإيمان بالله ، مراجعاً من طرف خفى الفلاسفة الأبيقوريين والماديين الذين ينفون خلود الروح .

وكأنى بالشاعر — فى إصاخته لصوت الغريزة ورفضه البراهين المنطقية — يريد أن يطوى فى غضون شعره مذهبه فى تمثل الإيمان وتمثل معانيه — فليدع تلك المناقشات البيزنطية العقيمة ، وتلك البراهين الجدلية السقيمة ، وليتطلع فى نفس الإنسان لسان حاله إذا ما تأمل معبد الطبيعة القدسى ، وسمع ألحان الأرض والسماء حتى استنارت بصيرته بما رأى بصره ، فتجلت له حقيقة الإيمان .

ألا وإن هذه الحقيقة السامية لتسبيحة خالدة طالما تغنى بها روح الشاعر ، فأيقظه من سباته ، وبعثه من مرقده .

« حينئذ توقظ فينى بسكرتك الوديعـــة
وأنت ترجع فى السماء والأرض طرفك الحيران
قائلاً : « أيها الإله الباطن ! معبدك الطبيعة .
فإذا تأملها البصر شهدتك البصيرة فى كل مكان »

(البقية فى العدد القادم) صبحى ابراهيم الصالح

وهو حين يرثي يندفع حيناً وراء حزنه ، حتى ليرى من الغدر ألا يفيض جفنه عليهم ، ويرى نفسه أحق بالبكاء من تلك الغمرية التي أثارها فقد إلفها :

فمالي لا أبكي ؟! أم القلب صخرة
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر

بكت واحداً لم يشجها غير فقده وأبكي لآلاف عديدهم كثر
قدرت إذاً إن ضن جفني بقطره وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر

وحيناً تتغلب العاطفة الدينية لديه ، فيخفف ذلك من وقع المصائب عليه :

يخفف من فؤادي أن تكلكما متقل لي يوم الحشر ميزانا

أما عند ما كان في الأسر فإنه وجد في رثاء بنيه وبكائهم متنفساً من آلامه ، ووجد في الجزع عليهم تعبيراً عن يأسه وتبديد أحلامه ، ولا ريب أن حاله في الأسر هو الذي أوحى إليه بهذا البيت الباكي :

يقولون صبراً ، لا سبيل إلى الصبر
سأبكي ، وأبكي ما تطاول من عمري

وهو في هذه القصيدة يرى الطبيعة تشاركه في الحزن ، فالبدر والنجوم الزهر في مأتم كل ليلة ، والغمام يبكي مشاركة له في مصابه ، ولا غرو فذو المنظار الأسود يرى الدنيا كلها سوداء ، والمعتمد يناجي ولديه ، عدتاً لها عما خلفه بعدهما في القلوب ، من جروح وندوب ، وما استحال إليه مجده بعدهما من تبدد وانهيار ، حتى إنهما لو عادا لآثرا الموت على أن يراه مقيداً مأسوراً .

فلو عدتا لاخترنا الموت في الثرى إذا أننا أبصرتماني في الأسر

***

أما شعره في الأسر فكان سلواه ، يشكو له بثه ، ويندب إليه حظه ، ويحدثه بآلامه ، ويبكي به مصيره ومصير ملكه .

وقد دافع المعتمد عن عرشه ، وخرج بسيفه يذود عن حماه ، ولم يستمع إلى رأي ناصحيه الذين أشاروا عليه بأن يتخذ خضوعه للموحدين سياسة ينتهجها ، حتى يقوموا على العرش ، فأبى ، ورأى استلاب عرشه أفضل من النزول عن شرفه :

قالوا : الخضوع سياسة فليد منك لهم خضوع
والله من علم الخضو ع على في السم النقيع

إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمي الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الشجوع
لم أستلب شرف العلا ع ، أيسلب الشرف الرفيع

واستقبل المعتمد أسره لا بالثورة والتهديد والوعيد ، ولكن بالبكاء والنحيب ، فلم ترَ في شعره حديثاً عن أنصار سيثورون ، ولا عن شعب سينتقم ، بل رأينا استسلاماً لأسره ، وبكاء على ماضيه . خرج به يوسف بن ناشفين إلى العدوة بعد أن خلعه ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فقال :

خرجوا ليستسقوا ، فقلت لهم دمعي ينوب لكم عن الأنواء
قالوا : حقيق في دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء

ولم نره طول مدة مقامه في الأسر متوعداً ولا ثائراً ، بل يائساً مستسلماً ، ولم يمر به أمل العودة إلى سابق مجده إلا مروراً عابراً كما مر به في حلم إذ يقول :

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير
تراه صغيراً أم يسيرا مناله ألا كل ما شاء الإله يسير

ولم نحس بروح الثورة في شعر المعتمد وهو أسير إلا عند ما بلغه نبأ ثورة ابنه عبد الجبار ، فهنا يذكر المعتمد السيف الذي طال رقاده في جفنه ، والرمح الذي عطش إلى شرب الدماء ، والجواد وقد حيل بينه وبين ارتقاب غرة في العدو فينادي قائلاً :

ألا شرف يرحم الشرف حمى به من ثمات الوثين
ألا كرم ينعش السمهري ، ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية شديد الحنين ضعيف الأنين

بل إن ذكرى مجده ومجد آبائه الغابر في القصيدة الفخرية التي أنشأها في الأسر لم تكن لتثير فيه الطموح إلى إعادة هذا المجد ، بل يسلي نفسه فيها بقوله .

وإذا ما اجتمع الدين لنا فخير ما من الدنيا افترق

فالسائد في شعره روح الاستسلام لجور الدهر وظلم الأيام : يوصي نفسه بالصبر ، ويدعوها إلى تحمل الكرب ، ويوطنها على الكره ، حتى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيقول :

افتح بحظك في دنياك ما كانا وعن نفسك إن فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض
فاشعر القلب سلواناً وإيمانا

أما سمعت بسلطان شبيهك قد ... زنّه سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره ، وارقب إثره فرجا ... واستغثم الله تغثم منه غفرانا

كان هذا الأسر القاسي وما عومل به من إذلال فيه ، والموازنه بين حاضره وماضيه ، مدعاة لإثارة شجونه ، وإدماء عيونه ، وها هو ذا يصف لنا عيداً حزيناً قد أقبل عليه في منفاه وقد دخلت عليه بناته ، يلبسن ثياباً أخلاقاً وفي أيديهن المغزل يغزلن به للناس حتى لمن كان لهن بالأمس خادما ، فثارت في خاطره أطياف السعادة الماضية ، فتمزق قلبه وقال :

فيا مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد في أغمات[1] مأسورا
ترى بناتك في أغمات من عُدُم ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا ... فردك الدهر منهياً ومأمورا

وكثيراً ما كان يتذكر قصوره بالأندلس فيحن إليها ، ويحس كأنها تبكي أيامه الزاهرة ، ولياليه المتلألئة ، ويشعر على البعد بما ارتدته من الذل والوحشة بعده .

ومما ضاعف أساه ، هذا القيد الذي غلت به قدماه ، وشعره ملء بالحسرة التي تمزق قلبه لهذا القيد الثقيل الذي يراه يتلوى كالحية الرقطاء ، وذا أيد وبطش كالأسد ، ومن أروع شعره في ذلك حديثه إلى القيد ، وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع له :

قيدي ، أما تملني سلما ... أبيت أن تشفق أو ترحما
دعي شراب لك ، واللحم قد ... أكلته لا تهشم الأعظما
يبصرني فيك أبو هاشم ... فينثني القلب وقد هشما
ارحم طفيلا طائشاً لبه ... لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله ... جرعتهن السم والسلقما

ولم يكن هناك بصيص من أمل في النجاة والحرية ينفذ إلى قلبه ، وكان الهم يحطمه والأسى يرهقه ، واليأس يعصر قلبه ، فكان يشعر بدنو أجله ، بل كان يتخيل هذا اليوم قد حل ، ولعله كان يراه آلامه وأحزانه ، فرثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره ، لم يشر فيها لغير ماضيه ، وكأنه يريد بذلك أن يمحو من ذاكرة التاريخ ما بلاه من الأسر والشقاء حيث يقول :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي ... حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالطاعن الضارب الرامي إذا انتقلوا ... بالخيل إن أجدبوا بالري للصادي
نعم هو الحق واقانى به قدر ... من السماء ، فوافاني ليعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه ... أن الجبال تهادى فوق أعواد
فلا تزل صلوات الله نازلة ... على دفينك لا تحصى بتعداد

وقبل أن أختم هذا الفصل أشير إلى صلة المعتمد بالشعراء في منفاه ، فقد استقبله في طنجة الحصري الشاعر ، وأقبل عليه يلح في طلب العطاء ورفع إليه شعراً ، فبعث إليه المعتمد بأكثر ما كان معه من مال قليل ، واعتذر إليه بقطعة من الشعر ، فأخذ الحصري ما أرسل إليه ، ومضى مستقلا للعطاء ، مهملا للمعتمد ؛ ولما سمع الشعراء بعطاء المعتمد أقبلوا عليه يسألونه ، فعجب من أمرهم وقال :

سألوا السير من الأسير وإنه ... بسؤالهم لأحق منهم فاعجب
لولا الحياء وعزة نفسية ... على الحشا لحكاهم في الطلب

وروى له ثلاثة من شعرائه هم أبو بكر الداني ، وابن حديس ، وابن عبد الصمد ، وأبى كرم المعتمد إلا أن يرسل إلى أولهم عند ما زار أغمات بالقليل الذي كان يملكه ، فأبى الداني أن يأخذ على وفائه أجراً ، وأما الثاني فقد أقبل يريد زيارته فصرفه بعض الخدم ، فأرسل المعتمد إليه قصيدة يعتذر فيها . ولعله كان يرجو أن يرى في شاعره صورة من مجده الغابر ، وأثراً من آثار عظمته وسلطانه . وأما ابن عبد الصمد فإنه مضى إلى قبر المعتمد بعد صلاة العيد مع ملأ من الناس يتوجعون له ويترحمون عليه ثم أنشد قصيدة طويلة أولها :

ملك الملوك أسامع فأنادي ... أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن ... فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا ... وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وخر يبكي ، ويعفر وجهه في تراب قبره .

— ٤ —

أهم ما يتصف به عهد المعتمد الوضوح الذي يدل على وضوح

(١) مدينة تقع جنوبي مراكش أسر فيها ابن عباد وبها مات .

التجربة لدى الشاعر ، فلا تمثر في شعره على غموض ولا التواء . ومما ساعد على هذا الوضوح الوحدة في شعره ؛ فكل مقطوعة أو قصيدة تتحدث عن خاطر من نفس المعتمد ، وتتضافر الأبيات في إيضاح هذا الخاطر وتسير في اتساق ونظام .

وكثير من شعره في عهد الإمارة والملك مقطوعات تدل على اضمحلال يكتنف هذا القدر في تصويره ، مع قدرة المعتمد على الإطالة إذا أراد .

أما موسيقاه فمناسبة لهذه الانفعالات ، ولذا ترى أكثر أوزان الغزل مطربة سارة سريعة كقوله :

يابديع الحسن والإحسان ، يا بدر الدياجي
يا غزالا صاد مني بالطلا ليث الهياج
قد غنينا بسنا وجهك عن ضوء السراج

وترى شعره في الأسر يلزم البحور الطويلة التي تدل على التأمل والأناة لا على الثورة والجموح . وليس في شعره في هذا العهد موسيقى تشعر بالسرعة إلا قطعته التي قالها في أثر ثورة ابنه عبد الجبار ؛ فهي من المتقارب السريع الحركة ؛ لأنها تعبر عن انفعال سريع ، وحركة تضطرم في صدره ، كما اختار البحور الطويلة لذلك في رثائه .

وتشبيهات المعتمد مألوفة ، ولكن زينها مايضفيه على الشعر من تناسب كقوله :

ياهلالا ، إذا بدا لي تجلت عن فؤادي دجنة الكربات

فأنت ترى التناسب بين الهلال والدجنة . وحينما يفصل التشبيه في الغزل زيادة في بث اللذة بتصوير من يحب حين يقول:

ياهلالا حسن خد ، يا رشا غنج لحظ ، يا قضيباً لين قد

ولا يتخذ المعتمد الغزل مقدمة لقصائد مدحه لأبيه ، كما كان يفعل الشعراء السابقون .

ويميل المعتمد إلى الجمال الطبيعي في شعره ، فقل أن يلجأ إلى الصناعة . وإن كنت لا تعدم أن ترى هنا جناساً ، وهناك طباقاً وهناك لفاً ونشراً ، وغيرها ، ولكنه مع ذلك يحسن الصوغ ، فلا تحس بنبوّ ولا قلق ، وإن كنت لا أنكر أثر الكلفة في قوله ، يدعو بعض زملائه إلى الشراب :

أيها الصاحب الذي فارقت مني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا حة والسمع الغنا والغناء
تتعاطى التي تنسيك في اللذ ة والرفة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا قد أعد إلك الحيا والحياء

وزادت الصناعة من جمال قوله يتحدث عن قرية تنوح :

وناحت وباحت واستراحت بسرها
وما نطقت حرفاً يبوح به سر

ولم تنض الصناعة من جمال مقطوعته الغزلية التي جعل في أول كل بيت منها حرفاً من حروف زوجه اعتماد .

والمعتمد دقيق ذو ذوق مرهف في اختيار ألفاظه التي توحي إلى القارئ بخاطره . وخذ مثلا لذلك كلمة الأوار التي توحي إليك بلهيب النار وقد دل بها على نيران المعركة ، وكلمة شخيص المصغرة وهي توحي بضآلة جسم ابنه أبي هاشم ، وهذا في البيتين اللذين أوردناهما في معركة الزلاقة ، وتأمل كلمة « مسيحا » في قوله يسترضي أباه :

سخطك قد زادني سقاما فابعث إلى الرضى مسيحا

لترى ما توحي به إلى نفسك من مقدرة المسيح على الإبراء ، وما في الكلمة نفسها من دلالة على مسح آثار الداء ، وهو يصف الليل باعتكار ، ويضيف الوسواس للحلي ، ويصف النفس بالنرجس في قوله :

فلاتتك بالنفس النرجسي ولاتتك بالملبس السجدي

وكل ذلك دليل الدقة في اختيار الألفاظ .

وقوافي الشاعر محكمة في أبياتها ، لا تشعر فيها بقلق ، ولا اضطراب ؛ بل هي مستقرة مطمئنة تشعرك بقدرة الشاعر على تذليلها ، إنا استثنينا كلمة كبد في قوله :

أغائبة عني وحاضرة مني لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي

فالمحبوب مكانه القلب لا الكبد .

وبعد فإن على شعر المعتمد بن عباد مسحة من الحسن تأسر النفس ، وتحفك الحس ، لصدق العاطفة التي انبعث منها ، وجمال الأسلوب الذي صيغ فيه .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الانحراف الجنسى

أسبابه وعلاجه

للأستاذ عبد العزيز جادو

كان الدكتور سيجموند فرويد، مبتكر التحليل النفسى، أول من وصف الأطفال بأنهم « ذوو انحراف متعدد الأشكال » Polymorpbous pérverts ولقد أثار بذلك عاصفة من السخط واتهم من جميع الأوساط بقذف الطفولة البريئة وطعنها.

ماذا تعنى هذه العبارة؟

إنها تعنى باللغة السهلة أن كل نوع من أنواع الانحراف الجنسى ينغمس فيه المراهقون وينقاضى عنه أو نتساهل فيه، يمكن أن يُبحث فى حالات النشاط العادى عند الأطفال.

وإنا إذا قلبنا هذا الأمر على وجوهه المختلفة، فلا يكون أسوأ مما كان، فليس الأطفال هم الذين يتصرفون كالرجال، ولكن الرجال هم الذين يتصرفون كالأطفال. ويقصد بهذا أيضاً أن كل طفل به انحراف جنسى يكون فى الغالب الأعم ناقص النمو من جهة غريزته الجنسية. ويرقد ارتقاؤه ونضجه وراء تلك الغريزة الجنسية عند المراهق العادى.

وليس الطفل هو المنحرف الضال، وإنما يعتبر المنحرف طفلا

وكلمة « منحرف » Bervert معناها التحول عن المجرى الطبيعى. والمنحرف الجنسى هو الذى لا يستعمل دافعه الجنسى بالطريقة السوية.

وكثير من الرجال لا يستطيعون جعل حياتهم الغرامية متناسقة بقدر الإمكان، لاعتقادهم أن كل شىء يحيل عن الطريق القويم إنما هو انحراف. وهناك بالفعل مجال فى لعب الحب الأولى لكل نوع من أنواع الملاطفة والتودد.

ويمكن استعمال أى صورة من صور الاتصال التى يحتمل أن تكون مقبولة ومنبهة Stimulating لكل من الطرفين على شرط أن تؤدى إلى الاختلاط الجنسى Sexual Union ولا تحل محله

واللاعبة للغرض الجنسى يجب أن تظل بمثابة « المشهيات » لا أن تكون الوليمة ذاتها.

وفى الانحراف الجنسى أصبحت اللاعبة غاية فى حد ذاتها، وليس الامتزاج أو الصلة بشخص من الجنس الآخر هى الغاية المشتهاة.

فلكى ندرك كيف يحدث هذا، علينا أن نرجع إلى الطفل. فليس هناك من يقرر بأن الطفل، بما له من أعضاء ناقصة النمو وبما يحتاجه من إفرازغددى، يكون فى حالة جنسية كحالة المراهق أو البالغ؛ ولكنه قادر من أول أمره على جلب اللذة عن طريق الإحساسات الجسدية، وهذه هى خلاصة اللذة الجنسية ولو أنها لا تهم الغرض الجنسى فى شىء.

وهكذا نرى أن المص ليس وسيلة لخسب لتخفيف الجوع وتهوين أمره، ولكنه يحس لذة فى حد ذاته. وهذا ما يلمسه أى فرد من مشاهدته طفلا يلمب بدميته. ويقتنع معظم الناس بأن التدخين، سواء بالغليون أو بالسيجار يدين بشىء من جاذبيته إلى تخلف اللذة أو بقائها فى الشفة، وتكون هذه اللذة فى الغالب كلذة التقبيل سواء بسواء.

وهناك فى الواقع عدة أجزاء فى الجسم تلتقى فيها المحتويات الداخلية أى الغشاء المخاطى بالجلد الخارجى. وجميع هذه المناطق ذات حساسية وشعور باللذة. والفم — كما ذكرنا — أحد تلك المناطق، كما أن الثغرة التى فى الطرف المقابل للقناة الهضمية منطقة هى الأخرى.

ومواضع الأعضاء التناسلية فى كل من الذكر والأنثى متشابه. وكلما اطرد التحسن وتدرج النضج وصلت تلك الأعضاء إلى درجة أعلى من المناطق الأخرى. ولو أن هذه المناطق لن تفقد حساسيتها جميعاً ويمكن أن تقوم بدورها فى الحياة الجنسية.

ولقد امتدت هذه الحساسية إلى أن بلغت بشكل واضح الأرداف. أما كيف أحاطت هذه الحساسية بتلك المنطقة حتى أن اللذة والألم صارا أكثر تمييزاً فيها، فهى مسألة لم يصل العلم إلى حلها. ولكن لاريب فى أن وظيفة الأم المحبوبة عند اعتنائها بنظافة رضيعها شىء له أهميته. كما أن ملاطفات المرأة الفاتنة غير المتزوجة عند إعجابها بالطفل لها أهميتها أيضاً. ومما لا شك فيه أن مثل هذه العادات تقوى اللذة الأصلية الكنسية وتعززها.

وقليل من الناس فى حاجة إلى أن يعرفوا أن هذه الطاقة من اللذة والألم كائنة . وفى النزوات التى تصحب العادة السرية يحتل الجلد whipping المكانة الأولى . وليس بعجيب أن تأخذ تلك النزوة هذه الهيئة ، إذ أن تخيل تجربة ماضية أسهل من التوسل إلى وصف شىء ليس للمرء معرفة شخصية به ؛ وهذا هو الوضع العادى للاستمناء الصبيانى بالنسبة إلى الامتزاج الجنسى .

ولا يكون الاستمناء انحرافاً إلا حينما يتم فى حياة المراهق بإيثاره إياه على حياة جنسية كاملة ممكنة . وإنه لنشاط عادى للصبى المنقب تنقيباً اختيارياً ليس فيه أى ضرر إلا عند ما يأتى القلق والخوف والجزع ليتجمع ويتركز حوله .

وكثير من المراهقين الذين يعوقهم الطبع أو الظروف عن الزواج ولا يمكنهم التمتع بالعملية الجنسية المحرمة ، ربما يكون هذا هو الحل السوى للحافز الجنسى عندهم . ولكن يجب أن نذكر ونضع نصب أعيننا الحقيقة التى تتركز فى الفعالية الذاتية فهى تشبع الشعور الذاتى إلى حد يصبح فيه ممتلا .

واقتران الجلد whipping باللذة الجنسية هو السبيل الذى يمكن أن يوصل إلى القمم الوهمية ، ولقد أصبح عبادة منظمة ذات آداب خاصة وحياة اجتماعية سفلية .

وله ، كما أسلفنا القول ، أسس طبيعية . ولا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بينه وبين السادية ؛ فالسادية حالة لا يمكن أن تأتى فيها الهزة أو الرعشة الجنسية إلا إذا كانت مصحوبة بالتعذيب والتشويه والبتر ، وتنتهى فى أكثر الحالات بموت الضحية . ويكفى بقاؤها لتذكيرنا بأنه لا وجود لنوع من الرعشات لا يمكن أن يكون ملتوياً فى صالح الغريزة الجنسية .

وبينما نرى أحد الأشخاص فى حاجة إلى التحكم فى الباعث Object على رغبته أو مشافيته والاستبداد به أو تعذيبه ، نرى آخر يختبر اللذة الجنسية الكاملة ويتذوقها حين يكون مضروباً أو عند ما يُهان ويؤذى ويحتقر . وهذا الأخير هو الذى يطلق عليه : (مازوكى) Masochist

ومتوسط الرجال والنساء يمكنهم أن يكتشفوا فى أنفسهم جراثيم الاتجاهين ولا حاجة بهم إلى القلق والانزعاج من هذه العاينة . واللامبة يمكن أن تضيف صنفاً منسوجاً فى مصلحة الحب بدون خطر من أن يغدو انحرافاً .

٣٢ ٠ ٤٩

والفيتيشية Fetichism انحراف جنسى آخر يأخذ صوراً غريبة . ومعناه فى الأصل أن الباعث على التهيج الجنسى ليس شخصاً بعينه أو أشخاصاً معينين ولكنه بعض شىء . وقد يكون هذا الشىء حذاء أو جوربا أو معطفاً من الفرو أو أى شىء ذا وبر أو خصلة من الشعر أو أى أداة من أدوات الملبس . كما ان أصل الفيتيشية فى جميع الانحرافات قد يرجع إلى بعض تجارب صبيانية

يقول الشاعر (ما الحب إلا للحبيب الأول) وهى حقيقة سيكولوجية ؛ ذلك أن سلوك الطفل فى أزمة من الأزمات الانفعالية يمكنه أن يصنع نموذجاً من السلوك حينما تتلاقى فيما بعد بعض الحالات لجيل انفعالى مماثلها .

وطبيعى أنه كان ينبغى أن يثير الليبيدو ، وهو تيار الحب حينما كان قصده كلما ترعرع الفرد . فهو فى البداية يتركز بكليته فى الذات ، ولكن وظائف الهم تبعث على تحويل التيار إلى نفسها فتغدو محبة لشخص آخر .

وهذا التعلق الأول بالأم جنسى بأوسع معانى الكلمة — ليستبدل به فيما بعد حباً يقوم على تبادل النعمة والاستحسان .

وإن لم يحوّل هذا التعلق الأساسى كما يجب ، يحار الفرد فى ارتقائه الجنسى ، ولا تكون شهوته Libido طليقة كما يجب أن تكون لكى تنفذ أو تمر من الأم إلى رفيق الدراسة أو صديق من الجنس ذاته إلى أن تجد أخيراً حبيباً ورفيقاً فى شخص ما من الجنس الآخر . وإنه لو تحرر الدافع الجنسى من الأم ، لكان عرضة لمقابلة الكبت فى اى مرحلة من مراحل النضج والارتقاء ؛ ومن ثم يرتد راجعاً إلى الوراء ، كمجرى من الماء وضعت أمامه السدود ، وينتشر فى مساحة أوسع . ويمكن إذن أن يكون الفرد مراهقاً فى كل شىء ما عدا الحافز الجنسى الذى يظل فى المستوى الصبيانى مضافاً إلى ذلك الشذوذ . وقد يكون نوع الكبت موضحاً بواسطة حالة ثابتة .

يضبط صبى فى السادسة من عمره وهو يقارن هيكله بهيكل أخته التى تصغره ، وبدلا من أن يتغاضى والداه عن هذا الأمر باعتباره دافعاً طبيعياً للاستطلاع وبوجهانه التوجيه الصحيح بتعليمه الحقائق الواضحة ، تراهما يردّانه عنه بغضب وسخط .

إذن فالارتقاء الجنسى فى الولد قُطع دابره من أول الأمر ، وبعد ذلك حين يأخذ النشاط الندى فى تنبيه الغريزة والتأثير فيها

لازدياد النمو يشعر نفسه « بعدم الأهمية » فالحادث الأصلي يضاف إليه الشعور بالخجل والندم وتأنيب الضمير ، كل هذا لا بد أن ينسى وإلا سيجعله قليل الاهتمام بالجنس الآخر ، وبالتالي تقمع شهوته .

وقد ينجذب وراء تعلقه بأمه واتصاله بها . ولكن بما أنه من غير المقبول أن تظهر في تزواته ، فإنه يجد بديلا من ذلك في بعض أشياء في لا شعوره يقرنها بأمه . وربما تكون رائحة صطفها أو لمسه إياه حين يكون على انفراد هو الذي يؤنس وحدته . وربما يكون الحذاء الذي تركته خارج باب حجرة نومها هو الذي يؤكد له أنها في الداخل وأنها على استعداد للترحيب به في سريرها.

وكما أن أي شيء يتناسب غالباً مع ما يشاركه في العاطفة ، كذلك تأخذ الحياة الجنسية لهذا الشاب صورة العادة السرية تحت المؤثرات الفيتيشية ، وربما لا يرجع إلى عهد بعيد ، ولكنه يرجع إلى أواخر طفولته عند ما شعر في نفسه بمؤثر سادجين قاده حب الاستطلاع إلى النظر من خلال ثقب مفتاح (الحمام) وقت أن كانت أخته الكبيرة تغتسل .

واحتمال آخر هو أنه قد يصير محباً لإظهار جسده لغيره Exhibitionist غير قادر على اللذة الجنسية السوية ، ولكن يتوق إلى عرض نفسه على بنات المدرسة — وأخيراً ينقاد لبعض نماذج من السلوك المخزون في الماضي .

هذه كلها أمثلة للانحراف الناتج عن النكوص Regression ولكننا لم نشر إلى التفسير بعد .

ومتوسط البنين والبنات الذين تتراوح أسنانهم بين الحادية عشرة والخامسة عشرة على جهة التقريب يكونون في مرحلة حب الجنس للجنس Homosexuality حيث يتركز الليبيدو على واحد من الجنس ذاته . وليس معنى هذا أن كل صغير ينغمس في اللذة الجنسية ، ولكن معناه أن الاهتمام المتيقظ وأوهام أحلام اليقظة تتركز حول بعض زملاء اللعب أو المدرسين .

وهذه الحالة إن كانت في صورة تبلغ من الصحة والسلامة منتهاها يكون صاحبها فيها « شبه بطل » أو يكون « ذا بطش شديد » . وهذه المرحلة تندمج بطبيعة الحال في المرحلة الثانية والأخيرة من ميل الجنس إلى الجنس الآخر Heterosexuality

وضبط الليبيدو وأوصده من تقدمه كما يحتمل أن يحدث من خوف في الحياة الجنسية ناتج من مشاهدته مشاجرات عائلية ، أو من أي سبب من مئات الأسباب المحتملة للافراض اللاشعورية ، ربما يوقفه (أي الليبيدو) عند مرحلة حب الجنس للجنس . وهنا أيضاً نجد اختلافات وفوارق في الدرجة والطبع .

ويجد بعض محبي الجنس ذاته أن تصور الامتزاج بواحد من الجنس الآخر يبعث حتماً على النفور والاشمئزاز . وآخرون يتمالبون شعورهم بكل جهد ليتزوجوا وينسلوا أطفالا .

وبعض الذكور من محبي نفس الجنس تبدو على هيأتهم الذكورة كاملة ، ومزاولة الانحراف الجنسي بين هؤلاء كان يشجع عليها قدماء اليونان إذ كانوا يعتقدون أن هذه الارتباطات إنما جعلت للتدريب الصحيح وللجنود الطيبين . ولقد قيل إن حب الجنس للجنس يقابل اليوم بمثل هذا التشجيع في بلدان أخرى ولأسباب مماثلة .

وفي الطرف الآخر من السلم يوجد نموذج « اليانسيه » المخنث ، والمرأة المسترجلة . ويوجد غالباً في مثل هذه الحالات خطأ ما في الارتقاء الغددي والجسدي . والتقارير الطبية الأخيرة في أثر تأدية هرمونات الجنس ، فتحت باب الأمل لمثل أولئك الناس ؛ لكي يكونوا عاديين وفي حالة سوية .

ومحبو الجنس ذاته ، من جهة أخرى ليس لديهم الرغبة ليعالجوا ويشفوا وسيجادلون بعد زمن في تحبيذ طريقهم في الحياة .

ويجب أن يكون واضحاً للقارئ الآن أن الانحراف الجنسي عصاب Neurosis جوهري ناتج عن أسباب مماثلة ، وأنه سهل الانقياد لمعالجة مماثلة شأنه شأن العصابات الأخرى .

والأسباب في كل الحالات محبوسة في اللاشعور . وفي قدرة التحليل النفسي أن يحرر الليبيدو ويجعله يرق إلى طرق سوية . ولكن هذا ليس من اليسور عمله ما دام الانحراف الجنسي يتنحى عن المسئوليات ويتملص منها . والعلاج لا بد أن تصحبه الرغبة في مواجهة حياة نقية تقية . وليس هناك بالطبع من يرغب رغبة أكيدة في الشفاء ويترك اليأس يستولي عليه .

عبد العزيز جاويد

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوي

— ٤ —

لسائل أن يسألني : إذا كانت جميع الوسائل التي التمسها أولو الأمر لعلاج الأزمات التي يعانيها الشباب قد أخفقت هذا الإخفاق ، فأي باب مأمون يمكن أن يطرقه الشباب وهو على يقين من أنه سيجد فيه ضالته وشفاءه وسعادته ؟

والحق أقول — وأعتذر إذا اضطر إلى الحديث عن نفسي — أنني بعد أن أنفقت كل عمري العلمي حتى الآن وها أنذا أناهز (سن الرشد) التي يقولون ، وبعد أن أذويت شبابي وما زلت في أبحاث شاقة منضبة — لم أجد ما أجيب به غير كلمتين اثنتين : العلم والدين . أما الدين فأقصد به الدين النقي الخالص ، وأما العلم فأقصد به العلم اليقيني الثابت من ذلك الذي يسميه الإنجليز Science

وكما يقول بعض الباحثين : « إن الدين وإن انحطت درجته بين الأديان وهي أساسه ، فهو أفضل من طريقة الشك والإلحاد ، وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الإنسانية ، وأجل أثراً في عقد روابط المعاملات ، بل في كل شأن يفيد المجتمع الإنساني ، وفي كل ترق يشرى إلى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الأولى[1] »

ورحم الله ذلك الفيلسوف العربي الشاعر أبا العلاء حيث يقول :

قال المنجم والطبيب كلاهما : لا تحشر الأجساد ، قلت إليكما
طهرت ثوبي للصلاة وقبله طهر ، فأين الطهر من جسديكما ؟
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

أما العلم الثابت فلأنه يحترم نفسه ويعرف لها قدرها فلا يزج بها إلى ما فوق طاقتها ، ولا يقول عن شيء إنه حقيقة حتى يثبت بالتجربة الدقيقة الصحيحة ؛ ولهذا فحقائقه ثابتة بعكس الفلسفة فمعظمها آراء ظنية يخيل إلينا أصحابها أن الحقيقة هي ، ومن هنا نشأ الخلط والتناقض فيها مع التموض ، ولم تكتسب كالعلم صفة البقاء والخلود .

أما العلم فلا يخلط بين الظن والحقيقة — ولا سيما فيما يمس الدين — متعصباً لرأيه كما تفعل الفلسفة ؛ بل يقول في تواضعه المعهود على لسان بعض رجاله : « الفرق بين أي اعتقاد ديني وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتنقيه عنصر من الحقيقة المطلقة . أما النظرية العلمية ، فهي عند أهلها صحيحة مادامت نافعة . ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه . ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأشمل ... »

ويرى بعض الفلاسفة من أتباع وليم جيمز أننا حين نقول عن معتقد إنه حق لا نعني أكثر من أنه نافع — أي أن كل حق في رأيهم إنما يحكم له أو عليه بالاختبار والتجربة لا من طريق آخر[1] »

أما إذا خرج العالم عن دائرته (دائرة الحقائق العلمية) وأدلى برأي فيجب أن نحترس منه ولا نقبل كل قوله من غير تمحيص ؛ لأن العالم أحياناً يتفلسف ولكل عالم هفوة .

ومهما يكن فلكل شيء حد إذا جاوزه اختلت موازينه ، وكما يقول ابن خلدون في مقدمته : « لا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وبأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسقه رأيه في ذلك . واعلم أن الوجود عند كل مدرك له في بادئ رأيه ينحصر في مداركه لا يعدوها ؛ والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه : ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في عالم المحسوسات الأربع والمعقولات ، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات ؟ وكذلك الأعمى بالنسبة للمرئيات ... ولو أننا سألنا الحيوان الأعجم وتعلق لوجدناه منكراً للمعقولات » من منطق ورياضة ... الخ « وكانت ساقطة لديه كلية » وكذلك اللودة بالنسبة للجهات الثانية والسماء . فهل ينحصر الوجود حقاً فيما تدرك وما عداه ممدوم ؟ « فافهم إدراكك ومداركك واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقاد وعمل لأنه أعلم بما ينفعك وأحرص على سعادتك » .

« العقل ميزان صحيح ولكنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة الوجود والنبوة وكل ما وراء طوره ؛ فإن ذلك طمع في محال . ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال » اه

وهذه الكهرباء والمغناطيسية والجاذبية كلها موجودات نعرفها — فقط — بآثارها ، ولكن العلم الحديث أثبت أنه لا يمكن إدراك كنهها . فهل معنى أننا نعجز عن إدراكها يجعلنا نستطيع أن ننكر وجودها ؟ .

ولله ما أجل تلك العبارة الرائعة التي تنسب للفيلسوف من أجدادنا القدامى زعموا أنها وجدت مكتوبة على هرم في هيكل إدريس

(١) من كلام للفيلسوف العربي السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله .

(١) العالم الطبيعي الأستاذ أنفراد The Mechanism of nature

بـ « ما الحجر » وهي : « أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون . ومحال على من يفني أن يزيل النقاب الذي تنقب به من لا يفنى ». ولكن العلم بنفس التواضع وبنفس الدقة وبرغم كثرة مشاغله استطاع أن ينير لنا الكثير من معالم الطريق، وأن يقول كلمة الفصل التي ينتظرها منه العالم بفارغ صبر .

فأثبتت جميع تجاربه على طول الخط وجود قوة مدبرة مسيطرة هي الله ، بل ذهب إلى أكثر من هذا فأثبت كذلك أنه تعالى قيوم ever existing ونزهه سبحانه عن الزمنية والمكانية . كما أثبت له صفات الكمال ونفى عنه كل صفة نقص . ذكر ذلك العلامة الفلكي النابغ السير جيمس جينز في مؤلفاته ولا سيما في كتابيه The Universe around us—The Mysterious Universe . وكذلك ذكره غيره من مشاهير العلماء الأفذاذ .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذي نعنى فيه الدين حينما ننطق بكلمة العلم كما تنبأ بذلك أستاذنا العلامة الورع الدكتور محمد أحمد الغمراوي أستاذ الكيمياء بكلية الطب .

العلم والدين : وهل هنالك لذة أسمى من لذة المعرفة ؟ وهل هنالك سعادة أكمل من سعادة الاطمئنان ؟ « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » « أولم يتفكروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ »

سمعاً وطاعة ! لقد تفكرنا وتحققنا فآمنا ولم يبق إلا أن نفرغ من مشاغلنا المتعددة فنكمل إيماننا بالعمل .

هذا ما أجاب به العلم الحديث بعد طول تأمل وتدبر .

وإن هذا التفكير العلمي المتأمل في نظام الكون أنطق شيخ الإلحاد الفرنسي فولتير في أخريات حياته بقوله : « إنه لا توجد ساعة بدون ساعاتي يصنعها » :

أما الدين فمعروف أمره وليس هذا مجال البحث فيه . وأما العلم فأي شيء لديه ؟ وحبذا لو قمنا برياضة إلى أرضه الطيبة فإن هذا يعود علينا بخير كثير . إلا أن عقولنا المرنة ، وحياتنا المثقلة بالمواعيد ، وأعصابنا الرقيقة المرهفة ، كلها دواع تستلزم الاقتصاد في الزمن ، وتجعل من السير إن لم يكن من المستحيل علينا أن نحتمل حصر الأرقام ، أو تطبيق الكتب في المدن العلمية ومعاملها بين هذا الدخان المتصاعد ، والوهج المتطاير ! فلنكتف بالوقوف في هذه الزاوية إذن حيث آلة التسجيل التي يدون فيها كل شيء .

وأول ما يصادفنا في هذا المعمل المتواضع توقيع سير للفلكي الرياضي الذائع السير آرثر إدنجتون يقول فيه : « إن صورة الكون كما ترسمها النظريات العلمية الحديثة ، توضح لنا ترتيباً للعناصر الأساسية لا يترك فرصة للمصادفة فيه إلا بنسبة واحد إلى ملايين متعددة » . بل هذا توقيع متمم للعالم الجيولوجي (ل) يقول فيه : « إننا كلما تعمقنا بأبحاثنا في أية ناحية من نواحي الكون نجد أوضح البراهين على وجود عقل الخالق وعنايته وقدرته وحكمته » .

إلا أن هذا الهمس الذي يطرب بعض الشفاه يشعر بأنه ما زال في النفس شيء ! ولكن رويداً رويداً ؛ فها هو ذا النابغة الألماني (أينج) عالم النبات الشهير يتقدم إلينا في حزمه المعهود أول البراهين التي نتطلع إليها في لهفة وشوق :

« إنني أفضل الاعتقاد بأن كتاباً في علم الكيمياء أو النبات (كتب نفسه) وناشأ من تلقاء ذاته من المواد غير الحية ، على الاعتقاد بأن ورقة من أوراق الشجر أو زهرة من زهوره استطاعت أن تخلق نفسها وتتكون من تلقاء ذاتها بواسطة العوامل الطبيعية المجردة» ثم يبتسم وهو يشيح عنا بوجهه قائلا : « حقاً ! » إن دراسة الطبيعة هي الطريق لعبادة الخالق .

ولكننا وإن سلمنا بهذه النتائج يلوح أنا في حاجة لأن نحلو بأنفسنا لحظات نتناقش معها بهدوء : فكيف توصل العلم إلى هذه النتائج ؟ وهل هناك براهين أخر ؟

وقبل أن نتم هذا التساؤل — نجد الرجل النشيط ذا الروح اللطيف الجذاب السير جيمس جينز — وكأنما أدرك بفطنته ما نعاني — لأنه يعرف طبيعة النفس البشرية التي قالت لربها (ولكن ليطمئن قلبي) — نجد هذا العالم الإنجليزي يقبل نحونا وبيده طائفة من الكتب وهو يقول متهللا : إليكم الجواب ! ثم يفتح أولها وهو (الكون المحيط بنا) لنجده فيه يأتي بمقدمات مهما تعددت وتباينت فإنها تصل بنا حتماً إلى شيء واحد هو « أن في الكون آيات ساطعات صحيحات على وجود قوة مدبرة مهيمنة عليه » لنسميها ما شئنا : المدبر ، المتحكم ، الطبيعة ، الله ؛ فإن هذه الأسماء كلها تصل بنا إلى معنى واحد هو « الرب الخالق » الذي تزلت باسمه الأديان .

(النهاية في العدد القادم)

إبراهيم البطراوي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لحظات مع الأستاذ العقاد فى كتابه « الله » :

جاء فى كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ما يلى :

« ولا يرى علماء المقابلة أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة ، ولكنهم يقررون أن « ديانة الشمس » لم تنتشر فى تلك الأطوار ؛ لأنها تستلزم درجة من الثقافة العلمية والأدبية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ الخ » ص (٢٩)

وإنى لآخذ من هذا القول ، وأعتقد أن ديانة الشمس كانت أكثر انتشاراً من غيرها فى العهد البدائى ؛ وذلك لعظم تأثير الشمس على حياة الهمج العامة ، وبخاصة تأثيرها على الزراعة ؛ إذ لا بد أن الهمجى قد لاحظ تأثيرها ولو بطريق الصدفة ، ورأى كيف أن نبتة عاشت تحت أشعة الشمس قد زانها الازدهار والنمو ؛ بينما الأخرى التى نمت فى الظلال قد أصابها الذبول والاضمحلال . أليس فى ملاحظة ذلك ما يدعو الهمجى إلى معرفة مصدر الخير وهو « الشمس » فيتجه إليها ويأخذ بعبادتها ؟ !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلا أعتقد أن هناك من يستطيع القول بأن الهمجى كان قليل الاهتمام بالطوارئ التى تحدث أمامه ؛ فلا يهتم للتغيير الذى تحدثه الشمس عند شروقها وغروبها فى طقس إقليمه ، بالإضافة إلى كونها هدفاً لأنظار الهمج على الدوام . فلا يعقل أن الهمجى كان يفترش أديم الأرض ، وينام ملء جفنيه دون أن يفكر فيما يجرى حوله وما يراه وما يحسه من التبديل الطارئ ، ثم لا يقارن بين الحالتين : حالة شروق الشمس وما تبثه فى الكون من الحركة والنشاط ، وحالة غروبها وما يتبعه من سكون وهجوع !

كل هذا يحمل على الاعتقاد بانتشار عبادتها فى ذلك الزمان . كما أنى لا أرى أن للثقافة العلمية والأدبية تأثيراً فى الأمر ؛ لأن الإنسان يستطيع أن يعرف حقيقة بعض الأشياء دون معرفة بعلم أو أدب ، كأن يحدث ذلك عن طريق الصدفة المحضة أو الإحساس الباطنى الذى يتخيل حقيقة الشىء فيدفع الإنسان إلى الإيمان به .

لهذا كله أرجو من الأستاذ المعداوى أن يكشف لنا عن الحقيقة فيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وفيما أدليت به من رأى ، فقد أكون مخطئاً فى اعتقادى وبخاصة إن كان هناك شىء خفى على فلم أتبصره وفاتنى حقيقة معناه ... ودمتم سنداً لمحبى المعرفة وطالبى الثقافة الحقة .

(بغداد — العراق) عبد الرحمن محمد

أستاذ العربية بمدرسة الكرخ الثانوية

أشكر للأستاذ الفاضل جميل ثقته وحسن ظنه ، وأجيبه فى مجال التعقيب على قول الأستاذ العقاد بأن علماء المقابلة لا يرون أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة الخ ... أجيبه فى هذا المجال بأن هناك فارقاً بين « عبادة الشمس » و « ديانة الشمس » فى واقع الأمر وفيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وهذا هو الشىء الذى غاب عن السائل الفاضل فلم يتنبه له .

إن القول بأن « ديانة الشمس » تستلزم درجة من الثقافة العلمية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ صحيح لا غبار عليه ؛ وذلك لأن العبادة شىء والديانة شىء آخر ... وإذا كانت العبادة لا تحتاج إلى شىء من الثقافة العلمية ؛ فإن الديانة تحتاج إلى مثل تلك الثقافة كل الاحتياج وأهمها الإحاطة ببعض الشىء بالعلوم الفلكية والحسابية . إن العبادة تقوم على أسس من الشعور بالتأليه والخضوع للإله ، أما الديانة فتقوم على أسس أخرى هى تنظيم هذا الشعور عن طريق إبرازه فى صور شتى من إقامة الشعائر وتقديم القرابين وبناء المعابد والمحاريب .

كلام الأستاذ العقاد إذن عن « ديانة الشمس » صحيح لا غبار عليه إذا قصرناه على الثقافة العلمية لا الأدبية . أما كلامه عن « عبادة الشمس » حين يقول إنها لم تكن معدومة فى أطوار الديانات القديمة فليس صحيحاً فى جملته ... إن عبادة الشمس مثلا فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن لها وجود على الإطلاق ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرين ألف سنة على وجه التقريب . فإذا انتقلنا إلى العصر النيوليثى المبكر وجدنا عبادة الشمس على

نطاق ضيق لا يكاد يذكر ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد . فعبادة الشمس كانت معدومة تماماً فى أقدم عصور التاريخ ، وكانت شبه معدومة فى عصر آخر أقل قدماً ، وهذا هو التحديد الذى يؤكده بالدليل المادى « ورنجتن سميث » فى كتابه « الإنسان المتوحش البدائى » ، ويؤكده بأدلة أخرى معنوية كل من العالمين الكبيرين « ج . ج . أتكنسون » فى كتابه « القانون البدائى » و « ه . ج . ولز » فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » !

بعد هذا التحديد ، نعرض لشىء من التحليل والتعليل لظاهرة انعدام « عبادة الشمس » عند الهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ كما ورد فى كتب هؤلاء العلماء الثقات ، لنرد به على الآراء الخاصة التى أبداها الأستاذ صاحب السؤال .

لم يكن الإنسان الهمجى فى أقدم عصور التاريخ يعرف لوناً من ألوان التفكير الذى يقوده إلى الكشف عما يجرى حوله من ظواهر الكون وأحداث الحياة ؛ لقد كان كل تفكيره محصوراً فى قليل من الأمور التى تهمه كإنسان يتجنب الخطر حرصاً على حياته ويسعى إلى اجتلاب الرزق ليستطيع أن يعيش . فأفق التفكير عنده كان مشغولا بمثل هذا الاجهاد الفكرى المتمثل فى طريقة الخلاص من حيوان مفترس قد يعترض طريقه فى الليل أو النهار ، وفى طريقة الحصول على حيوان أليف يهيئ من لحمه طعاماً يرد به غائلة الجوع ! ... ولقد كان قصوره عن التفكير المتغلغل فيما حوله من ظواهر وأحداث مرجعه إلى قصور اللغة التى تعد فى حقيقتها الدعامة الأولى لكل تفكير عميق . إن الرجل الهمجى فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن يعرف لغة تمكنه مثلا على أن يفكر لماذا تشرق الشمس فى الصباح ولماذا تغرب فى المساء ، ومن أين جاء ولماذا يعيش ؟ ! لقد كانت لغته هى لغة الحركات والإيماءات ، وكان فكره يدور حول تلك الأشياء التى تقع فى دائرة إحساسه الساذج الذى لا يفترق أبدا عن إحساس الأطفال ؛ لأن اللغة كما يقول « ولز » هى يد الفكر التى يطبق بها على الأشياء ويختزنها لديه إلى حين !

وليس من شك فى أن الرجل الهمجى فى ذلك العصر لم يؤت درجة من التفكير تهيئ له نعمة التمييز بين ما هو جماد وبين ما هو حى — لقد كان يرهب منظر النهر إذا ما تدفق وفاض ، ويخيفه رؤية الظلام إذا ما أطبق بجناحيه على الكون ، ويصف بجلده وشجاعته زئير حيوان مفترس أو حدوث رؤيا مزعجة تقض مضجعه . وكل تلك الأمور فى وهمه أعداء يخشاها كل الخشية ويأتى من الأعمال ما يستجلب به رضاها عنه وعطفها عليه !

ولدينا من الأدلة المادية ما يثبت أن تفكير الهمج فى العصر البليوليثى لم يكن يتيح لهم بحال من الأحوال أن يستشفوا ماوراء الظواهر الكونية ؛ فرسوم الإنسان حتى التى تنتسب منها إلى العصر البليوليثى المتأخر لا تقدم لنا أية إشارة إلى أنه كان يهتم أدنى اهتمام بالشمس أو القمر أو النجوم أو الأشجار ... لقد كان كل تفكيره مركزاً فى الحيوان والإنسان دون غيرهما مما يقع تحت حسه وبصره من شتى الصور والمرئيات !

ولقد يسأل سائل : ألم يكن هناك نوع من العبادة يحتل مكانه من نفوس الهمج فى ذلك العصر من التاريخ ؟ ونحن نجيبه بأن هناك نوعاً من العبادة كان له أبعد الأثر فى حياة الإنسان البدائى فى العصر البليوليثى وهو « عبادة الرجل المسن » ... لقد كانت خشية الرجل المسن وأثرها العميق فى نفوس أهله وعشيرته هى مقدمة الشعور الدينى عند الهمج البدائيين كما يؤكد ذلك « جرانت ألان » مقتفياً أثر « هربرت سبنسر » فى كتاب « تطور فكرة الإله » هذا الشعور الدينى الأول كان مبعثه إجلال الأهل والعشيرة للرجل المسن ، حتى لقد كان يحرم على كل فرد أن يلمس رمحه أو يجلس فى مكانه ! ومما كان يبث هيبته وخشيته فى النفوس ، ويبعث على احترامه وتقديره ذلك الدور الذى كانت تقوم به الأمهات فى توجيه شعور الأبناء نحو هذا الهدف المقدس !

هذا فى العصر البليوليثى ، فإذا ما انتقلنا إلى العصر النيوليثى لمسنا بعض التطور فى عقلية رجاله من الهمج وأشباه الهمج ... لقد بدأت مرحلة الرعى البدائى الذى يتطلب الترحل من مكان إلى مكان ، ولقد أجبر الراعى النيوليثى المترحل بحكم هذه الحياة الجديدة على أن يشحذ فكره ليدرك الاتجاهات المختلفة وانبساط الأرض كما أجبر على أن يهتم بالشمس فى النهار وبالنجوم فى الليل لأنها كانت أشبه بموازين يزن بها الوقت وتهديه إلى الطريق وترشده

فى تنقلاته ورحلاته . من هنا نبتت فى نفسه بذور لون من الشعور الدينى يختلف عما سبقه من شعور عند الإنسان البليوليثى ... إن توقير « الرجل المسن » هناك قد تحول هنا إلى توقير هذه الظواهر الكونية ممثلة فى اعتقاده بأنها أجسام ذوات أرواح وشخصيات تقدم له من الهداية والعون ما كان يقدمه الرجل المسن إلى أهله وعشيرته ! ولكن عبادة الشمس على الرغم من هذا كله لم تحظ بنصيب وافر من عناية الرجل النيوليثى حيث وجه جل عنايته إلى عبادة النجوم ؛ لأنها كانت فى رأيه أثبت دليلا من الشمس ! هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان للتعابين أثر كبير فى نفسه ترتبت عليه أن اضمحلت عبادة الشمس أوكادت لتحل محلها « عبادة الثعبان » ، وبخاصة فى تلك المناطق التى كان فيها للأفعى أهمية عملية خطيرة فى الحياة الإنسانية !

وهكذا ظلت عبادة الشمس شبه معدومة حتى أواسط العصر النيوليثى ، ولم يقدر لها أن تنتشر إلا يوم أن تشكل البشر فى مجموعات إنسانية تنتظم دولا مميزة المعالم موحدة الكيان ، هناك حيث توطدت أركان عبادة الشمس وديانة الشمس فى كل من مصر وبابل وفارس والهند واليابان .

وسط هيئة الأمم والديمقراطية الأمريكية :

يقولون إن فى أمريكا ديمقراطية ، ويقولون إن من مبادئ هذه الديمقراطية الأمريكية تلك المساواة بين رعاياها فى الحقوق والواجبات ... إذا لم تصدق هذا الذى يقال فاقرأ معى هذين الخبرين اللذين طالعتهما فى الصحف منذ أيام :

« حجز معهد الشرق الأوسط فى أمريكا حجرة فى فندق بارك لإجراء مباحثات خاصة بين خبراء شئون الشرق الأوسط غير أن خادم الفندق ما كاد يرى الدكتور رالف بانش بين هؤلاء الخبراء حتى انبرى له ومنعه من الكلام لأنه أسود ، ثم قررت إدارة الفندق إثناء حجز الحجرة وإعادة النقود التى دفعت لذلك إلى المعهد ، لأن الدكتور بانش زنجى لا يسمح له بارتياد مثل تلك الأماكن » !

هذا هو الخبر الأول الذى طالعته فى « المصرى » .

وإليك الخبر الثانى الذى طالعته فى « الأهرام » :

« صرح الدكتور رالف بانش لمندوب مجلة (كوليرز) الأمريكية بأنه رفض منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذى عرضه عليه الرئيس ترومان لأنه (أى بانش) لا يستطيع الإقامة مع أسرته فى واشنطن حيث يلقى الزنوج اضطهاداً شديداً على أيدى البيض » ! !

رالف بانش وسيط هيئة الأمم المتحدة فى المشكلة الفلسطينية هذا الشاب العظيم المثقف الإنسان الذى خلف الكونت برنادوت عقب أن اغتالته الأيدى اليهودية الغادرة ، هذا السياسى الممتاز الذى عرض عليه الرئيس ترومان منصب مساعد وزير الخارجية لكفايته ومواهبه ؛ رالف بانش هذا تحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى شخص خادم وبين الكلام لأنه زنجى ، وتحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى أشخاص أبنائها البيض وبين المنصب الخطير لأنه زنجى ... ترى كم علامة من علامات التعجب تكفينى لأثبتها فى ذيل هذا التعقيب ؟ أغلب الظن أن مئات الألوف منها لا تمكن أن تكفى لتعبر عما يجيش بنفسى من شتى الخواطر والانفعالات !

لقد كان الأمريكيون ينفقون من ميزانيتهم فى خلال الحرب ملايين الدولارات ليقنعوا الشعوب المضللة بتلك الحقيقة الفذة ، وهى أن الألمان برابرة متوحشون ، لماذا ؟ لأنهم يضطهدون جنساً يستحق الاضطهاد ، ويشردون جنساً يستحق التشريد ، ويحتقرون جنساً يستحق الاحتقار ، وأعنى به تلك الفئة من حثالة المخلوقات البشرية فى كل زمان وكل مكان ! ... قالوا هذا عن الألمان وهم يمثلون نفس المأساة ، وما أبعد الفارق بين جنس وجنس فى حساب الإنسانية وحساب الخلق والضمير ، نعم ما أبعده بين موسى شرتوك ورالف بانش فى مجال التمثيل بالفرد الواحد للألوف والملايين !!

دكتاتورية حين تصدر عن الألمان وديمقراطية حين تصدر من الأمريكيين ... وصفقوا ما استطعتم للديمقراطية الأمريكية المزيفة !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

حول الكتب الأدبية بوزارة المعارف :

قررت اللجنة المختصة في وزارة المعارف ، تقرير طائفة من كتب الأدب الحديثة للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية في العام الدراسي القادم ، وهي توزع على الطلبة ، وبقدر ما يؤخذ من كل كتاب بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسخة ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

«زعماء الإصلاح في العصر الحديث» للدكتور أحمد أمين بك وقد جدد تقريره إذ كان مقرراً في العام الماضي ، و « الشاعر » للمنفلوطي بدلا من « في سبيل التاج » التي كانت مقررة في العام الماضي ، و « أبو الهول يطير » للأستاذ محمود تيمور بك بدلا من «نداء المجهول» ، و «مجنون ليلى» لشوقي بدلا من «الشوقيات» ، و «المهلهل» للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك بدلا من «عنترة» ، و « عبقرية الصديق » للأستاذ عباس محمود العقاد بدلا من « عبقرية عمر » ، و « يوميات نائب في الأرياف » للأستاذ توفيق الحكيم ، و « العباسة » لعزيز أباظة باشا ، وجدد تقرير الجزء الأول من « الأيام » للدكتور طه حسين بك و « فارس بني حمدان » للجارم .

وقد تأرجول هذه الكتب ، أمران: الأول متعلق باختيارها والثاني خاص بثمنها .

أثار الأمر الأول معالي وزير المعارف عند ما اطلع على الكتب التي قررتها اللجنة ، إذ سأل معاليه عن أدباء كبار منهم الأستاذ الزيات ، لم لم تقرر لهم كتب ؟ وسأل عن كتب قررت وكان قد لوحظ بها أخطاء في اللغة والنحو والموضوع — لم قررت؟

وأجابت اللجنة عن أسئلة معالي الوزير ، ومما قالت إن مؤلفات الأستاذ الزيات فوق مستوى الطلبة ، وأن الكتب التي بها أخطاء قد تعهد أصحابها أن يصححوا هذه الأخطاء في الطبعات الجديدة ! وإجابة اللجنة ، وفيها غير ذلك ، لم تستطع أن تزحزح علامات الاستفهام من مواضعها . وهناك علامة استفهام كبيرة تحدق في اللجنة من تحت إلى فوق ومن فوق إلى تحت .. وذلك أن اللجنة مؤلفة من نحو ثلاث سنين ، للنظر في أمثل الطرق للنهوض باللغة العربية في المدارس وتحبيبها إلى الطلاب ، وهي مهمة وقتية غير دائمة ، واتخذت اللجنة طريق تقرير الكتب الأدبية لتحقيق هذه الغاية ؛ هذا حسن ، ولكن علامة الاستفهام تريد أن تعرف لم فرضت اللجنة نفسها سلطة تنفيذية دائمة ، تقرر وتنفذ في كل عام ، ولا تعرف الجهات الأخرى في الوزارة التي لها شأن فني في الموضوع ، إلا الأوامر تأتي إليها للتنفيذ ، حتى سميت « لجنة الأوصياء » وكأن علامة الاستفهام تريد أن تقف باللجنة عند وضعها الفني الاستشاري ، وقد تسألها لم أعطت نفسها حق الاستمرار .

والتأمل في الكتب التي تقررها اللجنة سنوياً ، يرى مؤلفيها « طقماً » ثابتاً لا يأتيه التبديل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا أريد أن أمس أحداً من أولئك الأعلام الذين تقرر كتبهم ، فهم أساتذتنا ومكانتهم الأدبية معروفة وكتبهم نافعة من غير شك . ولكن لم الاقتصار عليهم والاحتفاظ بهم في كل عام ، حتى إن من لم يجدد كتابه يقرر له كتاب آخر ، كأن المقرر هو المؤلف ..

أنا أفهم من تقرير تلك الكتب أنه يرمي إلى غرضين : اتصال الطلاب بالحركة الأدبية العامة ، وتشجيع المؤلفين . والغرضان يقتضيان التنويع في الاختيار بحيث يشمل ألواناً مختلفة من آداب العصر لأدباء مختلفين من مؤلفي العصر ، شيوخاً وكهولا وشباباً . وعندنا طائفة من الأدباء ذوي النشاط المحمود في التأليف قد تقدموا إلى الكهولة ، فلم لا يقرر الصالح من كتبهم ؟ وأذكر منهم — على سبيل المثال — سيد قطب والعريان وعلي طه والخفيف وعلي أدهم ونجيب محفوظ . ولعل هؤلاء أولى بالتشجيع من أولئك المقررة كتبهم لحاجتهم إليه أكثر منهم ، ولاشك أن الناشئين وغير الناشئين يجدون في إنتاجهم ألواناً مختلفة محببة .

ويلاحظ أن بين الكتب المقررة كتباً لبعض أعضاء اللجنة ورئيسها الدكتور أحمد أمين بك ، وأنا أحب هذا الرجل الكبير ،

ومما أحبه فيه أفكاره التقدمية المبنية على أساس من ثقافة أصيلة. وليس لهذا علاقة بالموضوع ولكنه استطراد أعود منه لأقول: إني لا أحب أن يسلبني ذلك الحب حريتي في تناول الموضوع بما أراه. بين الكتب المقررة «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» وكانت اللجنة قد قررته في العام الماضي قبل أن يطبع؛ قررته في إبريل وظهر في أغسطس، وبينها «المهلهل» ومؤلفه الأستاذ فريد أبو حديد بك عضو اللجنة. وقد يكون بينها كتب أخرى لأعضاء آخرين لم أتفت إليها، وهذان التاليان بكفيان لما أرمي إليه، وهو أن هؤلاء السادة يحكمون بذلك لأنفسهم مهما قيل في تبرير موقفهم وتعليله، وفي الوقت نفسه يحكمون على غيرهم ممن لم تسعدهم الحال بعضوية اللجنة..

ولا أدري لمن الكتب التي اشتملت على أخطاء تعهد أصحابها بإصلاحها، هل هي لأعضاء في اللجنة أو لغيرهم؟ وهل حكتبوا «التعهدات» ووقعوها أو تعهدوا شفوياً؟ وهل تعهدوا بأنفسهم أو تعهد منهم أولياء؟

أما الأمر الثاني الخاص بأثمان الكتب فأرجئه إلى الأسبوع القادم.

كشكول الأسبوع

□ قرر مجلس المجمع اللغوي في جلسته الأخيرة اعتبار الأستاذ أحمد حسن الزيات خلفاً لأطون الجميل باشا، والأستاذ ابراهيم مصطفى خلفاً للعلامة بك، في عضوية المجمع. وقد جرت العادة أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه في جلسة الاستقبال.

□ يتجه الرأي في لجنة الأدب بالمجمع إلى عدم تعيين موضوعات البحوث الأدبية في المسابقة المقبلة؛ بل يكون للمتسابق حريته في اختيار الموضوع.

□ خطب معالي وزير المعارف في حفلة اختتام العام الدراسي في كلية فيكتوريا، بالقلعة البريسة، وهو أول وزير مصري يخطب بالعربية في هذه الكلية الانجليزية.

□ تحتفل جامعة الدول العربية في العام القادم بالذكرى الألفية لابن سينا. وقد رأت وزارة المعارف أن تشترك في هذه الذكرى اشتراكا عملياً باق الأثر، وذلك بنشر كتاب «الشفاء» لصاحب الذكرى، وألفت لجنة لهذا الغرض تعمل بتوجيه الدكتور طه حسين بك.

□ نشرت «آخر ساعة»: أن صاحبة السمو الملكي الأميرة فائقة تهوى الأدب وتنظم الشعر بالغات العربية والإنجليزية والفرنسية ويمتاز شعرها بالمرح والسخرية والنقد اللاذع.

□ كتب الأستاذ محمود تيمور بك في العدد الأخير من «الهلال» بعنوان «أنهم الأغبياء» فقال إن الأدباء استكملوا حريتهم في خارج أنفسهم، ولكنهم لم يوفقوا إلى تحطيم الأغلال التي تقيد مشاعرهم، وحبذا لو ضرب بعض الأمثلة لما يرمي إليه.

□ قال لي الأستاذ كامل محمود حبيب: إنه كان يريد كتابة كلمة عن كتاب «خمر وجمر» ولكنه بعد أن اطلع على كلمة مؤلفه الأستاذ عدنان أسعد في العدد الماضي من «الرسالة» — خشي أن يعتبره «مأجوراً» فتكلم عن الكتابة. ولنفرض أن أحداً قرظ الكتاب فاعتبره المؤلف مأجوراً كما قال، فالسؤال بعد ذلك: من هو مأجور؟

□ ابتداء من ١٥ أغسطس القادم تنظم في لبنان حلقة للدراسات الاجتماعية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة، وتلقى في هذه الحلقة محاضرات وتجرى مناقشات في الموضوعات الاجتماعية المختلفة ويشترك فيها مندوبون من الدول العربية، وقد وافق مجلس الوزراء على تأليف الوفد المصري فيها من جماعة من المشتغلين بالدراسات الاجتماعية برياسة سعادة محمد الشناوي باشا.

□ طلبت الحكومة السعودية ندب ثلاثة من مهندسي الإذاعة المصرية للعمل في إنشاء محطة إذاعة في جدة، وقد وافقت الجهات المختصة على ذلك.

ولا بأس بالمهندسين، ولكن لتحضر الحكومة السعودية من «خبراء» الإذاعة المصرية في البرامج واختيار ما يذاع.

متحف الثقافة العربية:

احتفلت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية يوم الأربعاء الماضي، بافتتاح متحف الثقافة العربية فألقى سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة كلمة نوه فيها بأثر الرابط الثقافي بين الأمم العربية من حيث إنه أهم الروابط بينها، وقال إنه إذا وقع اختلاف على خطط عسكرية أو أغراض سياسية فإن الجميع متفقون على الأهداف الثقافية، كما قال إن العمل الثقافي في الجامعة ليس مقصوراً على الدول المشتركة فيها وإنما هو لجميع الأمم العربية. وأعقبه الدكتور أحمد أمين بك فبين الأعمال التي قامت بها الإدارة الثقافية والأغراض التي تعمل على تحقيقها، وعرف بمتحف الثقافة العربية وذكر المقصود منه وهو جمع المعلومات والوثائق المتعلقة بشئون الثقافة ونظم المعارف في مختلف الأقطار العربية وتهيئتها للباحثين، ثم عرض خلاصة هذه المعلومات وأهم الوثائق على الأنظار لإعطاء فكرة واضحة عن الحالة الثقافية في كل قطر من الأقطار العربية.

وقد دلفنا بعد ذلك إلى مكان المتحف فألفيناه مقسما إلى

أقسام ، منها « التعليم الجامعي » و « التعليم الثانوي » و « التعليم الابتدائي » الخ ، وقد عرض في كل قسم نسخ من كتبه الدراسية وبعض صور للمدارس وما فيها من نشاط ، وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظم والحياة المدرسية ، وعلقت بجدران المتحف مصورات ورسوم بيانية .

والمتحف وإن كان وليداً صغيراً إلا أنه عظيم الفكرة ، وقد نسق تنسيقاً جميلاً في حدوده الضيقة . وقد ساءلت نفسي بعد مشاهدته : هل هو متحف للثقافة العربية ؟ حقاً إن معروضاته تعطي فكرة واضحة عن النظم والمناهج المدرسية في البلاد العربية ولكن أين ما يمثل الثقافة العامة والنشاط الأدبي خارج النطاق المدرسي ؟ وهل هو متحف ؟ إن كلمة « متحف » أول ما يتبادر إلى الذهن منها أن ما تطلق عليه يضم منتوجات من الفنون الجميلة ، وهو خال من هذه المنتوجات ، أليس إلا بعض صور فوتغرافية ومصورات جغرافية . كنت أود أن يسمى « معرض التعليم في البلاد العربية » ولو مؤقتاً حتى يتسع ويشمل ما يجعله أهلا لاسم « متحف الثقافة العربية » .

حسن فائق باشا :

في الأسبوع الماضي عقد معالي وزير المعارف اجتماعاً دعا إليه رجال التعليم في الوزارة وفي الجامعة ، عرض فيه أمر استقالة وكيل وزارة المعارف سعادة حسن فائق باشا من منصبه ، وقال إنه ألح على سعادته في البقاء واستعان بدولة رئيس الوزراء على إقناعه بالعدول عن الاستقالة ، ولكنه أصر عليها مراعاة لصحته فاضطر آسفاً إلى قبولها .

وقد كان ذلك الاجتماع حفلا رائعاً لتكريم حسن فائق باشا وتوديعه ، تجلى فيه الوفاء الكريم والتقدير العظيم لرجل خدم العلم والتعليم أربعين عاماً كان فيها ، وخاصة أثناء توليته المناصب الكبيرة ، مثلا للرجل العادل النظيف ... وقد كان معالي الوزير دقيقاً في وصفه إذ قال له : «عرفتك مترفعاً في غير سلف ، ليناً في غير ضعف ، متميزاً على نظرائك في غير خيلاء ولا زهو» وهذه العبارة من كتاب بليغ وجيه معاليه إلى سعادته بهذه المناسبة . ومن معاني ذلك الحفل أنه كما قال فائق باشا في كلمته ، تكريم للعلم ورجاله في شخصه .

كان حسن فائق باشا بوزارة المعارف دعامة لحفظ التوازن فيها فالملك تعرف أن في هذه الوزارة منذ قديم عهدها تيارات مختلفة وعصبيات معهدية وغير معهدية ، وكان الرجل متجرداً من تلك العصائر ، ينظر إلى الجميع نظرة واحدة ، لا يميز فئة على فئة ، ولا يقصر في نصرة الجانب الذي يرى فيه الحق . ومن هنا كانت خسارة الوزارة باستقالته عظيمة .

أنواع شائقة :

هذا هو اسم الفلم الذي ابتدأ عرضه هذا الأسبوع في سينما بارادي وسينما متروبول . وهو يعرض قصة تبدأ بمنظر في مكتب رئيس تحرير جريدة « الحرية » حيث نرى الآنسة هدى رئيسة جمعية تحرير المرأة تحتج على المقالات التي يكتبها الأستاذ زهدي ضد حقوق المرأة ، ثم تدعوه إلى حفلة في (الأوبرج) تقيمها الجمعية للاحتفال بتخريج الفوج الأول من الفتيات اللاتي تطوعن للعمل في حرب فلسطين ، كي يقتنع بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل . وفي الحفلة نرى زهدي مع فتاة عابثة مستهترة باللهو هي عطوفته ، وهدى مع شاب ماجن هو خاطبها . ثم يتطوع زهدي للقتال في فلسطين ، وتتطوع هدى للتمريض في الحرب . ويعود زهدي في إجازة ، وعند وصوله إلى منزله يفاجأ ببرقية تتضمن أن والده يحتضر ، فيسرع إليه في سيارته التي تنقلب به في الطريق فيصاب إصابات شديدة ينقل على أثرها إلى المستشفى العسكري حيث يعالج فيشفى غير أن وجهه يشوه تشويهاً منكراً . ثم يذهب إلى عطوفته ، وهو يخفي دماغه بقناع يبدي الوجه طبيعياً ، ويلومها على سلوكها ، ويفسخان خطبتهما ، وكذلك تفسخ هدى وخاطبها خطبتهما في منظر آخر ، وبعد ذلك نرى زهدي يغازل بعض الفتيات ، ثم يخلع القناع ويبدي لهن وجهه فينفرن منه . ثم يلتقي بهدى ، ويغازلها وهو مقنع ، ثم تكتشف هي أنه المريض الذي كانت تمرضه في المستشفى وخرج مشوه الوجه ، فتنفر منه أولا ، ثم تذهب إلى أبيها وتقول له إن زهدي يريد أن يخطبها إليه فيرسل الوالد إليه ويفاتحه في الأمر ، فيرفض زهدي ويكشف له وجهه ، ولكن هدى تبدي رغبتها في زواجه لأن تشويهه من التضحيات الوطنية ، ثم يذهب والدها به إلى سويسرا ويعالج وجهه حتى يعود إلى طبيعته .

وفي الفلم فجوات وتضاريس ... منها أن زهدي يلتقي بهدى

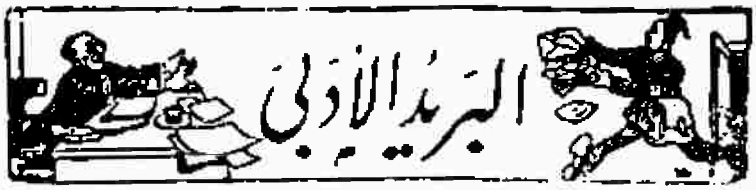

مرقد الاسكندر :

قرأت الكلمة التي كتبها الأستاذ كاظم المظفر (حول مدفن الاسكندر) رداً على ردي على ما كتبه من قبل .

لازلت أقرر وأكرر وأؤيد ما قلته من قبل من أن الاسكندر الأكبر توفي في مدينة بابل وأن تابوته لا يعرف مكانه حتى الآن وأنه عند وفاته لم تكن أمه في مصر بل كانت في بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر .

يسألني الأستاذ كاظم : من أين استقيت ما أقول ؟ فأقول له : إن جميع المؤرخين اليونانيين والألمانيين والفرنساويين والانجليز وغيرهم وغيرهم حققوا ودققوا وقالوا ما قلت وقولهم هو عين اليقين منهم المؤرخ اليوناني أريين Arien وها ما قاله عنه صاحب القاموس العام للتراجم والتاريخ والجغرافيا القديمة والحديثة :

C'est Arrien qui, écrivant d'après les mémoires de quelques lieutenants d' Alexandre, a composé le livre le Plus consciencieux et le mieux raisonné sur ce sujet

ومثله المؤرخ دروزن الألماني الذي كتب كتابه المشهور « تاريخ الاسكندر » المطبوع في برلين في سنة ١٨٣٣[1] .

ومن قبله المؤرخ الإنجليزي وليمس الذي كتب من (حياة وحروب الأسكندر الأكبر) .

ومثلهم المؤرخ الفرنساوي سنت كروا Sainte Croix الذي وضع كتاباً من بحث ونقد ما كتبه مؤرخو اسكندر الأكبر . وهذا الكتاب طبع ونشر في سنة ١٧٧٥ وقد وصفه صاحب القاموس سالف الذكر بقوله إنه :

(١) والمؤرخ دروزن Droysen هذا حذق اللغتين اللاتينية واليونانية ، ودرس كتب بلوطرخوس وكونت كورس وتوسيديد وكسنوفون وأصبح ثقة في التاريخ .

في المرة الثانية على أنه أول لقاء وقد سبق أن تعارفا ، ولست أدري لماذا جعلت إصابة زهدي في السيارة بعد أن عاد من الحرب وكان الأولى أن تكون إصابته في الميدان حتى يتحقق معنى التضحية التي قدرتها فيه هدى ؟ وفي حفلة (الأوبرج) لم نر فتيات مجندات غير الست هدى . ولم يكن طبيعياً أن يعنف السيد زهدي مع مخطوبته ويكشف لها وجهه فترى بخاتم الخطبة في هذا الوجه الكريه ، ثم يقبل عليها بعد هذا بشغف ويبثها هواه ويذكرها بالذي كان .

ثم أريد أن أسأل من هدف القصة ، هل هو الاعتراف في آخر الأمر بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل ؟ تظهر في القصة هذه المحاولة ولكنها لا تستند إلا إلى شخصية هدى ، وقد انتهت هذه القصة بقبولها الزواج من الرجل الذي قدرت شخصيته وتضحياته ... ولكن هذا التقدير لم يظهر إلا في كلمات مقتضبة عند ما أبدت رغبتها في هذا الزواج ، ولم يكن لهذا « الشعور » مقدمات ، ثم هل هذا يعني المساواة ؟ وقد أضفى منظر الوجه المشوه على الفلم روحاً تمثيلاً قاتماً ، وقد انطلق صاحبه يخفيه ثم يظهره فيفزع بنات الناس ويروعهن ... ولست أدري هل « الأرواح الهائمة » هي أرواح هؤلاء البنات الروعات ، أو هي روح صاحب الوجه الشاردة وراءهن ، وقد جمعت على « أرواح » احتياطاً ..؟ فإني لم أجد بالفلم ما يدل على اسمه « أرواح هائمة » غير ذينك الفرضين . أو لا تكون الأرواح الهائمة هي أرواح الجمهور التي شردتها مشاهدة الفلم ... ؟

وقد مثل في هذا الفلم أحمد علام وزوزو حمدي الحكيم ، وقد ظهرا في بضعة مناظر قصيرة ، وكلينا (هدى) ولولا صدق (مخطوبة زهدي) وقد أحسنت كلينا في دورها غير أنها كانت متكلفة في زيها العسكري وجامدة في التمريض . أما لولا صدق فقد أجادت في تمثيل الفتاة التائبة وقد تخصصت في هذا الدور . وأما سائر الممثلين والممثلات فأكثرهم وجوه جديدة ، ومنهم بطل الفلم (زهدي) واسمه سليمان عزيز ، وكذلك المؤلف سامي عزيز ، وقد أخرج الفلم كمال بركات . وأود لهم التوفيق في مقبل الإنتاج .

عباس خضر

Le principal monument de L ' érudition de L ' auteur, véritable trésor de L' histoire d ' Alexandre où la noble - -sse d' un style un peu prolixe se Joint à La Profondeur et à L'exactitude des recherches

فإذا أضفت إلى كل هذا كتاب بلوطرخوس Plutraque عرفت صحة المصادر التي استقينا منها ما كتبناه .

على أن من يمعن نظره فيما كتبه الأستاذ كاظم يدرك على الفور بأن المصادر التي استند إليها هو لا تفيده . فمثلا استند إلى البستاني الذي قال (ولما استولى الاسكندر على بابل كانت خربة بالنسبة إلى حالتها الأولى فعزم على إعادة بنائها وجعلها عاصمة لمملكته في آسيا ، غير أن المنية أدركته قبل إنفاذ مقصده) هذه الجملة ليس فقط لا تفيد أن الاسكندر لم يمت في بابل ، بل ترجح بالعكس أنه مات فيها . وكون المنية أدركته قبل إعادة بنائها وجعلها عاصمة لمملكته في آسيا لا ينفي وجوده وموته فيها بعد تجديد بنائها وتعميرها . لأن اسكندر لما رأى الخراب عم مدينة بابل أمر ٢٠ ألفا من جنوده برفع أنقاض العمارات المتخربة ورفع أنقاض معبد بابل ثم البدء فوراً بترميم ما تخرب من المدينة وتعميرها وتجميلها لتكون مقراً له ؛ وجعل تنفيذ هذه الأعمال تحت إشراف حاكم بابل ، ثم أمر بحفر ترعة على مقربة من بابل . فما قاله البستاني صحيح في بعضه وغير صحيح في كله .

ثم يقول الأستاذ كاظم إن (المسعودي لم يتحقق تماماً من المكان الذي مات فيه الاسكندر ، وأنه ذكر في ذلك أقوالا ثلاثة لم يرد فيها اسم بابل) وهذا استدلال غير منتج أيضاً .

على أن من القرائن الواضحة — علاوة على أقوال وتحقيق المؤرخين الذين ذكرتهم — على أن الاسكندر توفي في بابل أن جميع المؤرخين رووا أنه قبل دخول الاسكندر مدينة بابل حذره المنجمون من دخولها وقالوا له إذا دخلت بابل كان دخولك وبالا عليك ، فلم يحفل الاسكندر بتحذيرهم ودخلها فكانت وفاته فيها في يوم ١١ يونيه سنة ٣٢٣ قبل الميلاد . ومن القرائن أيضاً أنه عقب وفاة الاسكندر نودي بابنه ملكا في مدينة بابل نفسها خلفاً لأبيه . فإن كان الاسكندر مات في ديار ربيعة أو في العراق بناء على أن بابل كانت خراباً يباباً لما نودي بابن الاسكندر ملكا في بابل

أما قولي بأن تابوت الاسكندر لم يعرف له مقر حتى الآن فتؤيده الأبحاث والحفريات والتحقيقات الجارية حتى الآن . كما يؤيده مضي ٢٣٠٠ سنة على وفاة الاسكندر وعدم العثور على تابوته حتى الآن . وإن كان الأستاذ كاظم يعرف أين مقر هذا التابوت فليرشدنا ليكون له شكر جميع المؤرخين في العالمين القديم والحديث .

أما ما صرح به المسعودي من أن الاسكندر (عهد إلى ولي عهده بطليموس أن يحمل تابوته إلى والدته بالاسكندرية) فقول بعيد عن الحقيقة بُعد الأرض عن السماء ؛ لأن إقامة الاسكندر في مصر لم تطل أكثر من ستة شهور ما كانت تسكن وما كانت تستحق سفر أمه من بيللا إلى مصر . ولم يقل أحد من المؤرخين أنها تركت مقدونيا وحضرت إلى مصر ، بل أجمع المؤرخون على أن بطليموس أحد قواد الاسكندر أراد أن ينفذ وصية الاسكندر عندما وصى بأن يدفن في راحة سيوه بجوار أبيه آمون رع . وقد حار المؤرخون في أمر معرفة إن كان تابوت الاسكندر نقل حقيقة من بابل إلى مصر . ولما أشاع بعض المؤرخين أن تابوت الاسكندر موجود في مصر وعين بعضهم موضعه في شارع النبي دانيال قام المغفور له الأمير عمر طوسون بعمل حفريات على مقربة من مسجد النبي دانيال فلم يعثر على شيء .

إن الرجوع إلى بعض المؤرخين العرب مثل المسعودي وابن خلكان والخطيب في جميع الحوادث القديمة وعلى الخصوص فيما نقل منها بغير العرب من إغريق ويونانيين ورومانيين وغيرهم وغيرهم غير مأمون العواقب ، لأنهم لم يحققوا ولم يدققوا بأنفسهم كما فعل المؤرخون الأفرنج ، لأنهم يكتفون بنقل ما يقوله من سبقهم نقلا بغير تحقيق وبغير تدقيق . فقول الأستاذ كاظم بأنه (لا يحق ما لابن خلكان والخطيب من شهرة واسعة في عالم التاريخ وما لديهما من خبرة ودراية بشئون الأمم القديمة وأحوال ملوكها وأيامها وغير ذلك) لا يكفي لاعتماد ما يقولونه بغير بحث وبغير الرجوع إلى أبحاث العلماء الذين بحثوا وحققوا ودققوا وأصبحوا ثقة فيما يكتبون وفيما يقولون ...

عزيز خانكي

تاريخ الاسلام وطبقات الأعلام

صدر الجزء الثاني ، ثمنه ٦٠ قرشا

قال الحافظ المؤرخ ابن حجر العسقلاني في ترجمة الذهبي من الدرر الكامنة : وجمع تاريخ الإسلام فأربى فيه على من تقدم ...

يباع بمكتبة القدسي بجوار محافظة القاهرة س . ت ١٦١٥

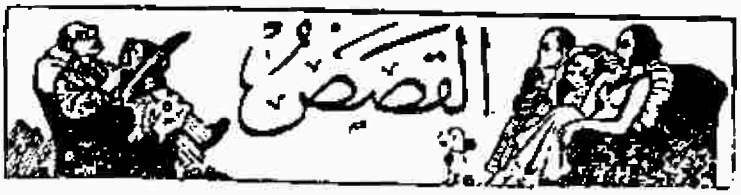

مادلين

للأديب يوسف جبرا

« لم تجف الزهور البيضاء التي وضعوها على قبرك ، ولم تتلاش أصداء النواح من الأفق بعد . لقد كف جرس الموتى عن دقاته الحزينة المتفرقة ، ولكن الأسى لم يكف عن دق الصدور التي اشتملت على صورتك الحبيبة يامادلين ، والدمع لم يكف عن الانسكاب في مآق تسهر الليل بعدك ...

ها هي ذي الشمس تنهض جفنيها بين فلذات من الدم القاتم ، وها هو ذا وشاح الليل يلف الكائنات ، وها هي ذي الأشجار الضخمة في نواحي المكان ساكنة واجمة ... الجميع يشاركوني آلامي ووحدتي ... وأنت في ملء لحدك يامادلين راقدة ، كما رقدت ما جد ولين المسكينة من قبل ! »

* * *

أقبلت علينا صاحبة النزل في صباح تقول : بشرى لكم... إن أسرة صغيرة من مواطنيكم توشك أن تحل هنا : أب وابنه وابنته ... لقد أعددنا الغرفة المجاورة وهيأناها ، وستكون هنا في المساء » .

وانطلقت صاحبة النزل فانضمت إلى أختيها في الغرفة الكبيرة التي كنا نسميها « الإدارة » . كن ثلاث أخوات سوريات يشتغلن بالخياطة ويدرن هذا النزل الصغير الأنيق . وكان للثلاث طابع واحد ... بداءة مفرطة تصحبها رقة وظرف — وكثيراً ما تكون البداءة والرقة صنوان !

أما « الإدارة » فهي المكان الذي تجلس « الزكائب » الثلاث في ناحية منه معظم النهار ... بينما تتناثر في النواحي الأخرى ماكينات الخياطة ، والفتيات اللواتي يتعلمن المهنة ، وخليط من الأدوات والأقمشة والسلال ... دائماً ! وفي هذه الغرفة يتشاور الثلاث البدينات همساً في ما يهمهن من الأمور التي تختص بالنزلاء ؛ وفي هذه الغرفة تقوم « الزبونات » بتجريب « البروفة » أمام المرآة وتسلم الثياب التي تكمل خياطتها .

وفي هذه الغرفة تنعقد جلسات عائلية بين الأسر المقيمة بالنزل ، فينصت الجميع إلى حكايات طريفة تحكيها « الزكائب » عن أصلهن الرفيع وعن الشبان الذين تقدموا للزواج منهن في غابر الأيام ... وكان نصيبهم جميعاً الرفض !

في ذلك المساء قدمتنا كبرى الأخوات الثلاث إلى مادلين وأسرتها الصغيرة ... أما أبوها فكان رجلاً ، مسناً ، في فمه أسنان صناعية ، وعلى عينيه منظار غائم لا تكاد ترى عينيه من ورائه . أما الأخ فكان شاباً ظريفاً لما ينته من دراسة الطب . أما هي — مادلين — فقد بدت فتاة في الربيع الخامس والعشرين من عمرها ، نحيلة ، سمراء ، في عينيها لهيب قاتم ، وفي خصلات شعرها الأسود المهدل فن وعبقرية .

كانت الصورة الأولى التي وعتها لها ذاكرتي هي تلك ، وكانت إذاك في ثوب بنفسجي اللون ، يزيد لهب عينيها قتامة وسحراً . كانت ضحكة كثيرة الضحك ، وكان أول ما فعلته أن دعتني إليها — وكنت إذاك في السادسة من العمر — فقالت لي : ما اسمك ؟ » وحاولت أن أجيب ... ولكن قبلاتها كوت في وجهي ، وأرسلتني أعدو إلى أمي في تعثر وخجل ! ..

وسرعان ما اتصل الود بين مادلين وبين أمي ، فكانتا تشتركان في كل أمر من الأمور ... كنت تراهما معاً طيلة الوقت في المطبخ ، أو أمام ماكينة الخياطة ، أو في الخارج تبتاعان شيئاً ... إلى آخر هذا كله ! .

واتصل الود أكثر من هذا بيني — أنا الصغير — وبين مادلين . كانت دائماً تدخر لي جانباً من الحلوى ، وكانت دائماً تستقل هي بعمل ما أحتاج إليه من قطع للملابس الصغيرة ، وكانت في كثير من الأحيان تصحبني معها إلى الخارج ... ومن قبل ومن بعد كانت تحيطني بساعديها وتضمني إلى صدرها الحار لتغمرني بقبلات لا عداد لها ... قبلات محرمة والهة أشعر أنا

الصغير بأنها تختلف كثيراً عن قبلات أبي وسائر من بالمنزل ...

أما من ناحيتي ، فقد كنت أحب كثيراً أن تقبلني ، وأن أملأ خياشيمي الصغيرة بعطر البنفسج الذي يفوح دائماً من شعرها الحالك . وكنت أحب أن ألوذ بغرفتها التي كانت غالباً ما تخلو من الأب والأخ ... وهناك أطل من نافذة كبيرة على سطح دار مجاورة — كانت على ذلك السطح بقايا لعب ملونة ، وأصص صغيرة في كل واحدة منها زهرة حمراء ! .

... إلى أن كان ذلك اليوم الذي رأتني فيه أمي بين ذراعي مادلين وهي تقبلني تلك القبلات المحمومة ، فدعتني إلى غرفتنا بعيداً عن أنظارها ، ثم عبست في وجهي وحذرتني قائلة : لاتدعها تقبلك مرة ثانية .. أفاهم أنت ؟ لاتذهب إليها إن دعتك .. إياك ! وهرتني الدهشة ، ولم يستطع عقلي آنذاك أن يفسر ذاك التصرف الغريب .. أتحرمني من مادلين ؟ .. لماذا لا أدعها تقبلني ؟ لماذا لا أذهب إليها ..

رحمك الله يا أمي ، فما كنت آنذاك أستطيع أن أدرك شيئاً مما كان يدور بخلدك . أنت يا من حنكتك التجارب وعرفت من أمور الدنيا الكثير . أما الآن ، وقد كبرت واتسعت مداركي ، فإني أعتب عليك يا أمي — أعتب عليك حتى وأنت في ملكك الآخر : لماذا دار بخاطرك ما دار عن مادلين ؟ هل كانت مادلين كغيرها من البشر ؟ لماذا حرمتني منها ، وحرمتها مني ؟ إن الأمر لم يكن أكثر من أنها فتاة جياشة العاطفة طال بها انتظار الزواج والأمومة .. فلماذا قصرت عن فهمها ؟ ...

وقد كان محالا أن أقطع صلتي بها هكذا دفعة واحدة ! أريد على الأقل أن أعود لرؤية الصور الجميلة التي بغرفتها ، وأن أطل أحياناً من النافذة الكبيرة على السطح الملىء باللعب وأصص الزهور !.. وهكذا مضيت إلى أمي ، وتوسلت إليها والدموع في عيني قائلا : لا أدعها تقبلني .. لكن دعيني أذهب إليها إذا نادتني مثلا ! فنظرت إلي نظرة حادة ، وقالت : حسن .. سنرى !

« وفي ذلك المساء دعوتني إليك يا مادلين ، وأريتني آلة للتصوير اشتراها أخوك ، ثم حاولت من بعد أن تقبليني . . كنت أن أستسلم أول الأمر حسب ما اعتدت ، لكني تذكرت والدتي .. فاضطربت ! لكنك ألححت يا مادلين ، فلما حاولت أن أتخلص من ذراعيك .. عبرت وجهك سمات الدهشة ، وقلت ماذا .. ألا تريد أن أقبلك ؟ »

وحاولت أنا أن أنظر في عينيك لكني لم أستطع ، فأرخيت أهدابي ، وكان طبيعياً أن تلحظي في تصرفي إزاءك شيئاً غريباً طارئاً ، فوضعت يدك على كتفي ، وحدقت في بعينين تجلت فيهما الحيرة ، وقلت : لماذا ؟ .. لماذا لا تريد ؟! »

وفي براءة الطفل ، كأني أريد أن أخلص من هم يجثم على صدري ، أو كأني أريد أن ألصق التهمة بصاحبتها ، رميت في وجهك بالحقيقة ويدي تخفي اضطراب وجهي ... قلت : أمي قالت لي . لا تدع مادلين تقبلك ! » . فكأنما أصابتك لطمة شديدة ... لقد شحب وجهك الحبيب ، وغامت عيناك فتلاشى منهما ذلك الألق الحار في الضباب صرفتني في لطف ، لكني مضيت إلى تلك الشرفة الكبيرة التي تطل على الميدان الفسيح ، وهناك انتحيت ركناً بعيداً ، وجلست أبكي — لم أكن أبكي وحدي في تلك الساعة .. لقد رأيت في يدك منديلا صغيراً وأنت تحملين الطعام إلى أبيك في الليل !

ولم يكن في مقدورك أن تطيلي الصبر أو السكوت ، فلي صباح اليوم التالي فاتحت أمي في الأمر — كان ذلك وهي تعدو الطعام — فأنبتها عتاباً رقيقاً ، فأنكرت يامادلين وقالت إنني — أنا — قد اخترعت ذلك الشيء اختراعاً ..!

ولم تصف القلوب في تلك الساعة ، فكان أن تشاجرتما من بعد كطفلتين ، وكان أن انطلقت كل واحدة إلى غرفتها تغسل كبرياءها بفيض من الدموع السخينة .

كان اليوم التالي يوم الرحيل ، فاستطاعت كبرى الشقيقات الثلاث أن تصلح بيننا ، فتعانقنا عناقاً مؤثراً ، وأبت أمي إلا أن ترتدي ثياب الخروج من وقتها وتصحبك أنت وأسرتك الصغيرة إلى القطار .! أما أنا ، فقد أوعزت أمي لإحدى الشقيقات أن تأخذني إلى « الإدارة » لتقص على قصة شائقة ، حتى لا أفكر في اللحاق بك . كانت تعلم مدى تعلقي بك ، فكنت عند « حسن ظنها » وهربت من الأخت الطيبة إلى الشرفة المطلة على الميدان الفسيح ، ومن هنـــاك جعلت أصغي إلى أصوات القطر الغادية والرائحة ، متخيلا إياك وأنت ترحلين إلى السودان !

مضت عليّ أيام من بعدك قضيتها في ذكرى أليمة ، كلما أتاني صفير القطار اغرورقت عيناي بالدموع ، وكلما نظرت إلى غرفتك الخالية أكل قلبي الأسى . ثم كان أن انتهت أيامنا بدورنا ورحلنا إلى السودان — كنت أحس دائماً بفرحة كلما عدنا إليه ، لكنها كانت هذه المرة فرحة زائدة ... تذكرني

بشعوري يوم عدت إلى دارنا بعد أن ضللت في إحدى المرات نهاراً كاملاً . ولقد تخيلت أني سرعان ما ألقاك يا مادلين ، لكن آمالي خابت إذ عرفت أنك تقيمين في بلد مجاور ، ومن ثم فلا أمل في شيء أكثر من زيارات ممدودة ... ربما اعترضت أمي أيضاً على أن تصحبني فيها .. ما كان أشد فرحتي يوم زرنا بيتك للمرة الأولى ! كان البيت جهماً يوحي بالرعب والسلام ، وكانت بالفناء شجرة تين جعلت تغطفين منها وتطعميني ، وكانت بالفناء الآخر «عشة» كبيرة فيها سرب من اليمام الجبلي ، وقبل هذا وذاك كنت أنت هناك .

لقد كانت المرة الأولى والاخيرة يا مادلين ، وإني لا أزال أذكر كيف ظهرت صرحة أمام الجميع حتى لكأنك فتاة مقبلة على الزواج! ماذا قلت! سامحيني .. فربما أكون قد مسست شعورك! لا أنكر أني تساءلت طويلا ... لم بقيت دون زواج حتى ذلك الوقت ؟ لو كنت زوجة آنذاك وكان لك أطفال ، لما أفرغت على كل هذا الحب ، ولما تركت في حياتي ذلك الأثر العميق ! ... ثم كان يا مادلين أن حملوا إلينا ذلك النبأ السيء ، حملته إلينا جارة تمت إليك بصلة قرابة ، قالت إنك شغفت بالقصص وأدمنتها إدماناً شديداً — وجدك أخوك ذات يوم نائمة وعلى صدرك قصة حب ضممت عليها راحتيك .. فما كان منه إلا أن جذبها منك في عنف وهو يصرخ بك : استيقظي ! كانت حماقة منه كلفتك أعمالك . لقد دهتك نوبة حادة انتهت بذلك « الشلل » الذي أصاب إحدى يديك ! أواه يا مادلين ! قالوا إنك بت ضحية للسقم والعلة ، وإنك تدنين كنصف في طريقه إلى الجفاف . كان من سخف الأيام أن منعتنا زيارتك في ذلك الوقت ، وأن شهوراً مرت فكدنا ننسى أمرك كل النسيان .

وفي يوم سعيد — أحد أيام العيد الثلاثة — كانت ساحة البيعة في أوج زينتها ، تموج بالناس رجالا ونساء ، شيوخاً وأطفالا ، وكانت هناك حلقة منهم تحت شجرة « اللالوب » الضخمة في ظل البرج الكبير ، وفي وسط الحلقة شاب ظريف يقوم ببعض الألعاب ليضحك الناس . لمحتك فجأة ، وأنا على حافة الجدار مع ثلة من الرفاق ، مع فتاة أخرى في ناحية من المكان . لم أكد أعرفك يا مادلين ، لكنني أحسست أنه لا بد أن تكوني أنت ، فوثبت إلى الأرض دون أن أعي ، ورحت أخترق جموع الناس وقلبي يدق في خبل !

آه ، كم كنت جميلة في ذلك اليوم يا مادلين ! كنت في معطف من الصوف أحمر اللون ، وكانت على رأسك قلنسوة بديعة حمراء أيضاً ، وكنت كأحسن ما تكون الفتاة صحة وجمالا . لم تبخل على بقبلة صغيرة في خدي ، ولكن ترقرقت في عينيك آنذاك دموع الفرح والسعادة ؟ لقد رأتك أمي في تلك الساعة فأقبلت عليك تحييك في شوق واهتمام .. وأي اهتمام ! لقد أثرت يا حبيبتي يومها حسد النساء وألهبت قلوب الرجال — وصدقي أنني فرحت لك كل الفرح إذ قالوا إنك ستتزوجين ... أخيراً !

ستجدين إذن من تقرنين عليه ذلك الحنان المكبوت ، وسيروي حقلك الظامئ أيضاً بفيض من الحب والرعاية .. لكن جاء ذلك اليوم المشئوم .. بعد شهر من الزمن .. اهتز البرج الكبير في الصباح ، ودق الجرس الضخم في أعلاه دقات متقطعة رهيبة !

لقد فرقت سفينة كانت تحمل خطيبك .. وفرق كل أمل باق لك في الحياة ! لم تتحملي الصدمة يا مادلين .. فعادتك نوبة شديدة كانت هي النهاية ! هاهي الشمس تدرج في السماء ، وهاهي الطيور البيضاء تنشر أجنحتها على قبة البيعة ، وهاهو الندى يترقرق بعد على النصون وإلى الساحة الكبيرة يحملون نعشاً أبيض صغيراً ، نعشك أيتها العروس !

يوسف جبرا

إعلان

يعلن مجلس مديرية الدقهلية في المناقصة العامة عن ترميمات معاهده عام ٤٩/٥٠ فمن يرغب فليتقدم للمجلس بطلب على عرنحال دمغة فئة الثلاثين مليما برسم سعادة رئيس المجلس ودفع ٥٠٠ مليم من كل مجموعة وأن يكون العطاء مصحوباً بتأمين إبتدائي قدره ٢٪ وقد حددنا لفتح المظاريف ظهر يوم السبت ٢٥ يونيه ١٩٤٩ بديوان المديرية والمجلس حر في قبول أو رفض أي عطاء بدون إبداء الأسباب .

٢٠٠٤

إدارة البلديات العامة — طرق

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٦/٦/١٩٤٩ من عملية الرصف بدمياط وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليماً مقابل دفع مبلغ ٦ جنيه خلاف أجرة البريد ١٩٥١

ظهرت الطبعة الحادية عشرة المزيدة المنقحة الصحيحة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

اقصدوا

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان واتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتي : —

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر من الساعة ٨ ٠٠ إلى الساعة ١٣ ٣٠

رسم الدخول ٢٠ مليماً — تليفون رقم ٤١٩٦٤

مطبعة الرسالة